الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

ⴰⵖⵏⴰⵡⵉⵙ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵡⵉⵜ ⴰⵎⵙⴰⵡⴰⵍ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵡⵉⵜ ⴰⵎⵙⴰⵡⴰⵍ

ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵏ ⵎⵓⵍⵓⴷ ⵎⵎⴻⵔⵉ ⵜⵉⵣⵉ ⵡⵣⵓ

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU

FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES

DEPARTEMENT : LANGUE ET LITTERATURE ARABES

جامعة مولود معمري – تيزي وزو

كلية الآداب واللغات

قسم : اللّغة العربية وآدابها

الرقم: ...../...../ 2021

رقم الترتيب:

الرقم التسلسلي:

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر (ل.م.د)

الميدان: اللغة والأدب العربي.

الفرع: قسم اللغة العربية وآدابها.

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر.

صورة المرأة في رواية الأسود يليق بك "لأحلام مستغانمي"

إعداد الطالبتين:

– ليلى أولماس

– هيندة أرزقي

إشراف الأستاذة:

– لعداوي نسيمة

أعضاء لجنة المناقشة:

– د. بوجمعة شتوان، أستاذ محاضر صنف "أ"، جامعة مولود معمري، تيزي وزو..... رئيسًا

– أ. نسيمة لعداوي، أستاذة محاضرة صنف "أ"، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.....مشرفًا ومقرّرًا

– أ. مولود بوزيد، أستاذ ..... جامعة مولود معمري، تيزي وزو..... ممتحنًا

السنة الجامعية: 2020–2021

الشكر والتقدير

بداية الشكر لله عزّ وجل الذي أعاننا رشد من عزمنا لإكمال هذا البحث، ونشره راكعين، الذي وهبنا الصبر والمطاولة والتحدي والحب لنجعل هذا المشروع ينتفع به.

قال الرسول صلى الله عليه وسلّم: «من لم يشكر الناس لن يشكر الله».

نتقدم بأجمل عبارات الشكر والامتنان من قلوب فائضة بالمحبة والاحترام والتقدير لها. ونتقدم أزكى تحياتنا وأجملها وأثناها نرسلها لك بكل الود والحب والإخلاص... شكرين لك كل ما قدمته وما نصحت لنا به في إشرافك على هذا البحث، فلك منا كل الشكر والإمتنان الأستاذة الفاضلة "**نسيمة لعداوي**".

ونتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى جميع أعضاء هيئة التدريس بالمعهد.

ليـلى وهيندة

إهـــــداء

إلى روح أبي الطاهرة رحمه الله عليه.

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى أعز وأغلى إنسانة في حياتي، التي أنارت دربي بنصائحها، وكانت بحرًا صافيا يجري بفيض الحب والبسمة. إلى من زينت حياتي بيضاء البدر، وشموع الفرح، إلى من منحتني القوة والعزيمة لمواصلة الدرب، وكانت سببا في مواصلة دراستي، إلى من علمتني الصبر والاجتهاد إلى الغالية على قلبي.

أمـــــــي

إلى أخواتي، وأختي العزيزة حفظهم الله عز وجل.

إلى كل العائلة الكريمة، وزوملاء الدراسة متمنية لهم التوفيق.

إلى صديقاتي العزيزات.

إلى كل الأشخاص الذين أحمل لهم المحبة والتقدير.

ليـــــلى

إهـــداء

بِاسم الخالق الذي أضاء العون بنوره، إلهي وحده وعبده له وحده أسجد خاشعا شاكرا لنعمته وفضله عليّ في إتمام مذكراتي.

أهدي عملي إلى أغلى الناس في قلبي أمي الغالية التي منحتني الحب والأمان حفظها الله وأنعم عليها السعادة.

إلى أبي حفظه الله وأطال في عمره.

إلى أخواتي سلمى، ناريمان ونوال.

وإلى صديقاتي: كريمة، حنان، رشيدة، حياة وزريقة.

وإلى صديقتي التي شاركتني العمل ليلي.

وإلى كل من عرفتهم في مسيرتي الدراسية.

هينـــدة

مقدمـــة

مقدمـــة:

اِستطاع الأدب الجزائري أن يرصد مختلف مظاهر المجتمع وتحولاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية، والّذي عرف في فترة السبعينات دخول الفن الرّوائي الّذي لا يزال يشق طريقه نحو الأفضل والأرقى، خاصة المكتوب منه باللّغة العربية رغم ظهوره المتأخر مقارنة مع باقي الرّوايات في الأقطار العربية بالأخرى، حيث اِنبثقت منه دراسات فذة، وتشعبت مه مواضيع متعددة تناولت هذا الواقع بكلّ جوانبه، ولعلّ ما شغل اِهتمامنا هنا موضوع المرأة نظرًا للدور المهم الّذي تضطلع به، وما يترتب عنها من مطامح ومشاكل وهموم داخل المجتمع.

ويرجع سبب اِختيارنا لهذا الموضوع إلى أهمية الموضوع في حد ذاته، وحضور المرأة في كتابات "أحلاكم مستغانمي" بشكل قوي، ضف إلى ذلك الرغبة في الإطلاع أكثر على صور المرأة عند الرّوائية والكشف عن طريقتها الفنية في رسمها، وكلّ هذا بهدف تبسيط الرّؤية وتوضيحها قدر الإمكان وإزالة الغموض، ومحاولة الإجابة عن الإشكالية الآتية:

– كيف صورت أحلام مستغانمي المرأة في روايتها "الأسود يليق بكِ"؟

وللإجابة عن هذا السؤال وقع اِختيارنا على المنهج الوصفي التحليلي، ولذا اِرتأينا تقسيم هذا البحث حسب ما تقتضيه الدّراسة إلى مدخل وفصلين وملحق أوجزنا في المدخل بالتّحدث عن المرأة وفي الفصل الأوّل المعنون بـ: "المرأة في المجتمع الجزائري" وتطرقنا إلى التحدث عن المرأة في الرّواية العربية وكذلك إلى مفهوم الأدب النّسوي وأهمية موضوع المرأة في الرّواية، المرأة عبر العصور، المرأة في المجتمع العربي وبما فيه الجزائري، قضايا المرأة. أمّا الفصل الثاني والمعنون بـ صورة المرأة في رواية "الأسود يليق بكِ" فقد تناولنا فيه المرأة في ثلاثية "أحلام مستغانمي"، قضايا المرأة في رواية الأسو يليق بكِ مع اِستخراجنا لأهم الصور الّتي جسدها الكاتب في الرّاوية ومنها الصّورة الجسمية الإجتماعية، وذيلنا البحث

بخاتمة تحوي جملة من النتائج المتوصل إليها، يلي الخاتمة، ملحق رصدنا فيه ملخص للرّواية.

وقد اِعتمدنا في دراستنا هذه على رواية "الأسود يليق بكِ" للروائية الشاعرة والصحافية الناقدة – أحلام مستغانمي– كمصدر للدراسة والعديد من المراجع .

وفي الأخير نسأل الله العلي القدير أن يتقبل منها هذا الإنجاز الّذي تهدف من خلاله إلى المساهمة ولو بجزء يسير في الدّراسات الأدبية، فإن أخطأنا فمن أنفسنا وإن أصبنا فبتوفيق من الله الرّحمان الرّحيم.

مـــدخل

مدخل:

يُحتسب المرأة دورها الكبير في المجتمع حالها حال الرّجل، فقد شاركت عبر العصور القديمة والحديثة في شتى المجالات، وكان لها أدوار أخرى عديدة كشاعرة وملكة وفقيهة ومحاربة وفنانة ومعالجة وغيرها. ولعلّ الدّور الأساسي يتمثل في نباء أسرته ورعايته، حيث كزوجة أمرة إدارة واقتصاده.

ومنذ بداية العقد العالمي للمرأة وحتى مؤتمر بكين عام 1996 إزداد الاهتمام بقضية تمكين المرأة، وإتاحة الفرصة لها لممارسة دورها بفعالية مثل الرّجل، والمساهمة في صنع القرار في مختلف مجالات الحياة الثقافية والاجتماعية، والسياسية والاقتصادية، وقد أولت العديد من المنظمات والهيئات والدول الاهتمام بهذا المجال، وذلك من خلال إقامة مجموعة من المؤتمرات والندوات، وأشارت هذه الفعاليات بكافة أشكالها المتنوعة إلى أهمية تمكين المرأة، وإعطائها الحق الكامل بالعمل في كافة الميادين.

ويُعرف الدور بأنه: «مجموعة من الصفات والتوقعات المحددة اِجتماعيًا والمرتبطة بمكانة معينة، وللدور أهميّة اِجتماعية، لأنّه يوضّح أن أنشطة الأفراد محكومة اِجتماعيًا، وتتبع نماذج سلوكية محددة، فالمرأة في أسرتها تشغل مكانة اِجتماعية معينة، ويتوقع منها القيام بمجموعة من الأنماط السلوكية تمثل الدور المطلوب منها».

وتتجلى مساهمة المرأة وأثرها في المجتمع من خلال مساهمتها في بناء الأجيال، إضافة إلى أنّ المرأة الفضل في العديد من الاختراعات في مجالات شتى.

يتطلّب دور المرأة في المجتمع الحديث ثقةً بالنفس، وسموًا في الطموح والأفكار، بالإضافة إلى المبادرة، والمواظبة، والرغبة الكامنة في العمل والإنجاز والإبداع، فالمرأة هي الأم والقائدة القادرة على تربية شباب وشابات المجتمع يُعدّ دور المرأة من أكثر الأدوار الإنسانية تأثيرًا في المجتمع، وقد أثبتت المرأة في الوقت الحاضر أنّها تستطيع أن تتكيّف مع تطوّر الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المحيطة بها، ويؤكّد تقدمّها الملحوظ في

المجالات الّتي تتطلّب المعرفة والنقاش والعمل على ذلك، فقد أثبتت المرأة اِستغلالها لقدراتها الإدارية وأثبتت نجاحها وكفاءتها في رعاية البيت والأسرة وفي جميع مجالات الحياة الأخرى، وفيما يأتي بيان لأبرز أدوار المرأة ومساهمتها في الحياة والمُجتمع.

الفصل الأوّل

المرأة في المجتمع الجزائري

1- الرواية الجزائرية:

1-1 نشأتها:

ظهرت الرّواية الجزائرية متأخرة بالقياس مع الأشكال الأدبية الحديثة الأخرى كالقصة والمسرحية، وهذا التأخر يرجع إلى أنّ هذا الفن صعب ويحتاج إلى تعمق وتأمل طويل، كما أنّه يتطلب ظروفا ملائمة تساعد على تطوّره وكذا عناية الأدباء به.

والرّواية الجزائرية كغيرها من الأجناس الأدبية من حيث تأثرها بالأحداث التّاريخية الّتي عاشتها البلاد، وكذا بالظّروف الإجتماعية والسياسية والإقتصادية، والّتي أسهمت بدورها بمرحلتين بارزتين هما:

أولا- مرحلة ما قبل الإِستقلال:

كان للظروف القاسية التّي عاشها المجتمع الجزائري من إِختناق وحرمان في ظلّ الإِحتلال الفرنسي دور كبير في إعاقة الحركة الأدبية خاصة المكتوبة منها باللّغة العربية لأنّها محضورة من قبل الإِستعمار، فقد كانت رواية (غادة أم القرى، لأحمد رضا حوحو) هي الرّواية التّأسيسية في الأدب الجزائري، تجري حوادثها على أرض الحجاز، وقد أهداها إلى المرأة الجزائرية بهذه العبارة: «إلى تلك الّتي تعيش محرومة من نعمة الحب... من نعمة العلم ... من نعمة الحرية.... إلى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود إلى المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة تعزية وسلوى»[1].

ولكن بالرّغم من ذلك كلّه فقد كانت تلك النضالات الّتي خاضها الشعب الجزائري أثناء الثورة التحريرية قد أحدثت تحولا جذريا على المستوى الفني والأدبي لاسيما في مجال الرّاوية المكتوبة باللّغة الأجنبية والّتي دارت مضامينها حول الثّورة وحول الشّعب الجزائري ونضاله ضد الإِستعمار. فمن الرّوائيين من عبّر عن ذلك بجرأة وقدر وفهم عميق لمطامح الشعب الجزائري أمثال "حمد ديب" «ففي الجزء الأوّل من الثلاثية "الدار الكبيرة" الّذي ظهر

[1]- أحمد رضا حوحو، أم القرى، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2007، ص الإهداء.

1952 يعطي وصفا لحالة الفقر المدفع الّتي كانت تعانيه الطبقات العاملة في الجزائر الّتي وقعت في فخ المدينة، ولكّنها لم تستطيع أن تعيش محترمة لا أخلاقيا ولا ماديا»[1]، وكذا روايةً نوم العدل 1955 لمولود معمري، و"نجمة 1956 لكتاب ياسين"، فقد كشفت الأولى عن حالة التخلف والفقر والإستغلال والحرمان الّتي كانت تعاني منها القرى القبائلية المنعزلة في رؤوس الجبال تحت وطأة الجهل والتقاليد المتحكمة في حياة النّاس من جهة، ووطأة الإستعمار وإستغلاله لحالة الجهل والتخلّف والإختلاف فيما بينهم من جهة أخرى. في حين تعرضت الرّواية الثانية لحالة البطالة والفقر المدقع الّذي يعيشه الجزائريون في المدن، والإستغلال والمهانة الّتي يتعرض لها العاملون باليومية في ورش المعمرين وضياعهم الواقعة على أطراف المدن، وهو ما يضاعف إحساسهم بالظّلم، ويدفع بعضهم إلى التّمرد وربما إلى إرتكاب جرائم قتل[2]. ومولود فعرون من خلال روايته إبن الفقير (1939).

ثانيا- مرحلة ما بعد الإستقلال:

هنا نخصص الحديث عن الرّواية العربية الجزائرية الّتي ظهرت متأخرة، فهي من مواليد السبعينات، فهناك من يقول بأنّ لها بذور ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، ولكّنها روايات ساذجة سواء في موضوعاتها أو في أسلوبها وبنائها الفنّي. ومن هنا فإنّ الأعمال الرّوائية السائدة في تلك المرحلة كانت تصور شيئًا واحدًا وهو بطش الإستعمار وقمعه من جهة، وكفاح الشعب الجزائري ونضاله والتغني بأبطالها من جهى أخرى.

ويرجع الدكتور "عبد الله الركيبي" تأخر ظهور الرّاوية العربية الجزائرية إلى الأسباب الآتية:

1- أنّ هذا الفن صعب يحتاج إلى تأمل طويل وإلى صبر وأناة.

[1]- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007، ص 98.

[2]- أحمد منور، الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي، نشأته وتطوّره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، ط4، 2007، ص 107.

2- أنّ الرّواية تتطلّب لغة مرنة قادرة على تصوير بيئة كاملة، وهذا ما لم يتوفّر لها سوى بعد الإستقلال.

3- أنّ كتّاب الرّواية في الجزائر لم يجدوا أمامهم نماذج جزائرية يقلدونها أو ينسجون على منوالها، كما كان الأمر بالنّسبة للكتّاب باللّغة الفرنسية الّذين وجدوا تراثا غنيًا ونماذج جيدة في الأدب الفرنسي[1].

ومن الرّوايات الّتي كتبت في هذه المرحلة نذكر: روايتي "اللاز 1972 والزلزال 1974" للطاهر وطار، رواية "الطموح، لمحمد عرعار" "تبحث في شؤون الفكر والحياة والموت والخلود".

وهكذا توالى صدور العديد من الرّوايات الجزائرية باللّغة العربية، ولا توجد بينهما أية رواية نسائية حتى عام 1993 عندما ألفت الرّوائية الشاعرة والصحافية الناقدة "أحلام مستغانمي" رواية ذاكرة الجسد.

- المرأة في الرّواية العربية:

لقد كان للمرأة حضور كبير في الرّواية النّسائية، لهذا عدّت الرّواية هي الميثاق الأنثوي الّذي تسعى المرأة من خلاله إلى إثبات وجودها المؤنث الّذي لا يزال مهمشًا لتسلط الثقافة الذكورية عليه، وبما أنّ المجتمع ما زال ينظر إلى المرأة نظرة دونية، تبقى هي الطرف الأضعف العاجز عن تمثيل نفسه، ولهذا تصعب الموازاة بين إسهام المرأة الأدبي وإسهام الرّجل فيه.

وقبل الحديث عن أهمية المرأة في الرّاوية العربية، علينا أن نقدم مفهوما مختصرًا لمصطلح الأدب النّسوي بإعتباره جزء لا يتجزأ من الأدب العربي النّسائي.

[1]- عبد الله الركيبي، تطوّر النشر الجزائري الحديث (1830- 1974)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دط، د.ت، ص 238- 237.

1- الأدب النّسوي:

الأدب النّسوي أو الأدب النّسائي ويطلق عليه أيضا أدب الأنثى أو أدب المرأة وهو يشير إلى الأدب الّذي يكون النصّ الإبداعي فيه مرتبطا بطرح قضية المرأة والدّفاع عن حقوقها دون أن يكون الكاتب اِمرأة بالضرورة، فيعرفه بذلك البعض على أنّه «الأدب المرتبط بحركة نصرة المرأة وحرية المرأة وبصراع المرأة الطويل التّاريخي للمساواة بين الرّجل» بينما يعتبره البعض الآخر مصطلح يستشف منه اِفتراض جوهر محدد لتلك الكتابة يتمايز بينها وبين كتابة مغاير تنجزها المرأة العربية اِستيحاء لذاتها وشروطها ووضعها المقهور.

والأدب النّسوي الّذي يؤكد وجود إيداع نسائي وآخر ذكوري لكلّ منهما هويته وملامحه الخاصة وعلاقته بجذور ثقافة المبدع وموروثه الإجتماعي والثقافي وتجاربه الخاصّة من نفسية وفكرية تؤثر في فهمه للعالم من حوله، والمرحلة التّاريخية الّتي يعيشها، وقد يتسع مفهوم الأدب الّذي تكتبه النّساء، والأدب الّذي يكتبه الذّكور عن المرأة من أجل أن تتلقاه المرأة، وكل أدب يعبر عن نظرة المرأة لذاتها، أو نظرتها للرّجل وعلاقتها به، أو يهتم بالتّعبير عن تجارب المرأة اليومية والجسدية، ومطالبها الذّاتية، فهو أدب نسوي[1].

2- الرّواية النّسوية:

ليست الرّواية النّسوية إلا نوعًا من الرّواية يتم التّركيز فيه على المسائل ذات العلاقة بخصوصية المرأة، وإنما لو نظر القارئ فيها من زاوية أخرى لوجد أنّها رواية قد لا تختلف عن الرّاوية الإجتماعية، أو العاطفية، أو الغرامية، أو الفكرية. والرّواية النّسوية لا تختلف عن غيرها من حيث الشكل قد تكون رواية حداثية- نسوية، أو تاريخية- نسوية، أو تجريبية - نسوية، ولا يشترط في مؤلف الرّواية النّسوية أن تكون اِمرأة وإن علم ذلك من العنوان أو مما يكتب وينشر من دراسات، فالرّواية النّسوية هي الّتي تتفق فيها الشروط التّالية:

- التحيز للأنثى عوض التحيز للآخر وهو الشيء السّائد في الرّواية غير النّسوية.

[1]- إبراهيم محمود خليل، من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط 2003، ص 134- 135.

- تقديم صورة نزيهة ومجردة للمرأة وعلى وفق الدور الّذي تنهض به في الحياة اليومية.
- نبذ الصّورة النمطية السّائدة للمرأة من حيث عاجزة ولا تعنى بغير التّافه والمبتذل العاطفي.

فالرّواية النّسوية يجب أن تركّز على الدّور الفعّال الّذي تقوم به المرأة داخل العمل الأدبي، على نحو ما ترى في هالة الوافي بطلة "الأسود يليق بكِ" حيث أعطيت الفرصة.

- أهمية موضوع المرأة في الرّواية:

يعاني مجتمعنا الجزائري كبقية المجتمعات العربية الأخرى عدّة مشاكل إجتماعية وتتعرض سبيل تقدمه جملة من عوارض التخلّف، ومظاهر الظّلم ومن جملة المشاكل المطروحة قضية المرأة، هذه القضية القديمة المتجددة إنها قضية ملحة ومفتوحة كثيرًا ما تثار بصورة تصل أحيانًا حد التناقض، بينما ترى بعض الأطراف ضرورة اِلتزام المرأة بالبيت وليس الحجاب، ترتفع أصوات أخرى لتمزيق ذلك الرداء الأسود، والاِنطلاق إلى ذلك العمل والمشاركة في الحياة جنبا إلى جنب مع شقيقها الرّجل وبين هذين النقيضين ترتفع أصوات وسطية تدعو إلى إتّباع منهج وسط بين الاِنغلاق والتحرر، ولمختلف هذه الآراء والأفكار حججها وأدلتها وأرضيتها الثّقافية وخلفيتها التّاريخية[1].

لكلّ من هذه الآراء حججه الّتي يقوم عليها، ولكّن الأرجح والأصح أن تكون المرأة محافظة ومتحررة في آن واحد، ففي الوقت الّذي تلتزم فيه المرأة بمبادئ الإسلام وتعاليمه يمكن لها أن تتعلّم وأن تعمل وأن تبدع أيضا.

والقوانين الوضعية وتناولتها البرامج السّياسية، كما اِستحوذت المرأة على القلوب والعقول، أُمًا وأختًا وحبيبة، خطيبة أو زوجة.

أمّا وجود المرأة في ميدان الأدب فيحتل مساحة كبيرة، فقصائد الشّعر العربي تنوء بوصف النساء، يقول نزار قباني في قصيدة "حين أحبك":

[1]- مفقودة صالح، المرأة في الرّاوية الجزائرية، الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب، ط2، 2009، ص 10.

يتغير حين أحبك، شكل الكرة الأرضية...
تتلاقى طرق العالم فوق يديك... وفوق يديّه
يتغيّر ترتيب الأفلاك
تتكاثر في البحر الأسماك
ويسافر قمر في دورتي الدموية
يتغير شكلي

ولوحات الرسامين تعتمد على هذا الموضوع وكذا الأفلام والإشهار وأسواق المتعة. والمرأة في الرّواية تحتل نصيبًا أوفى وأوفر، وكذا الشأن في الدّراسات الأدبية والإجتماعية ومع كثرة الدّراسات المقدّمة عن المرأة سلبًا أو إيجابًا، فإنّ تلك الدراسات والبحوث الإجتماعية تجري في أماكن أخرى بحيث تكاد تقتصر تلك الأبحاث حول النّساء في المدن.

وتلك هي طبيعة الدّراسات الإجتماعية على الخصوص وهو الأمر المغاير لمعالجة قضية المرأة في الأعمال الأدبية والرّوائية بشكل خاص، فالدّراسات سالفة الذّكر تتناول مشكلة خضوع المرأة واِضطهادها، وتشير إلى الجهود الّتي تحاول تحطيم ذلك الاِضطهاد ولا تكاد تتجاوز عرض الإشكالية، فهي في أحسن الأحوال بهذا القدر ولا تجرؤ على تقديم صورة كبديل عن ذلك الوضع المتردي، بل إنّ الدّراسات والبحوث ترتبط بتوجهات سياسات الدولة.

أمّا معالجة الأصناف الأدبية لموضوع المرأة فتمتاز بالحرية في التناول، والجرأة في الطّرح وإعطاء التصوّر الذهني والبديل[1].

ومن هنا فإنّ المرأة حضور قوي في الأدب العربي عامة وفي الرواية خاصة نظرًا للدّور الفعّال الّذي تقوم به المرأة داخل المجتمع العربي كاملة كانت أم ربة بيت.

[1]- مفقودة صالح، المرأة في الرّواية الجزائرية، ص 10- 12.

- المرأة عبر العصور:

لقد عني الأدب العربي بالمرأة على مرّ العصور فأحسن تصويرها بشتى ظروفها لأنّ المرأة هي المخلوق الأكثر جمالاً والأكبر اِهتمامًا بالتّجميل.

أ- العصر الجاهلي:

من الصعب على قارئ التراث العربي الجاهلي تبين مكانة المرأة في ذلك المجتمع، وتحديد حقوق تتمتع بها النّساء الجاهليات بشكل متفق عليه، وربما لحظ القارئ أنّ المرأة مهانة في الكثير من الأحيان، فهي معرضة للوأد، ولا ترث بل تورث عند معظم القبائل، وللرجل حق الزواج بمن يشاء منهن، لكنه سيلاحظ في الوقت ذاته، أنّ المرأة لم تكن عنصرًا مهملاً، بدليل وجود كاهنات لسن قليلات، والكاهن رجلا كان أو اِمرأة يتمتع بمكانة كبيرة في المجتمع، كما أنّ المرأة شاركت في صناعة الأحداث المهمة مثل الحروب الّتي قامت بسببها، كما برز من العرب ملكات عربيات وشخصيات نسائية لا يستهان بهن، من أمثال "بلقيس" و"الزباء" وغيرهما[1].

حظيت المرأة العربية بعامة والزوجة بخاصة في المجتمع العربي قبل الإسلام بكثير من الرّعاية، والاِهتمام من الشعراء، مما يدلّ على علو مكانتها، فما قصائد النسيب والغزل ووصف المحاسن إلاّ دليل على أهميتها واِرتفاع شأنها، وقد ظهر ذلك جليا في مشاركتها الرّجل في أغلب أمور العيش وحتى في أكثرها خصوصية به، وخير من يوضح تلك المكانة الصورة الّتي يعرضها الشّعراء في صلاتهم بأزواجهم، فالشّاعر يلتمس الوسائل جميعها لكي يشهد زوجه على ما يتمسك به من قيم مجتمعه وأعرافه[2].

[1]- عمر بن عبد العزيز السيق، الرّجل في شعر المرأة.

[2]- حميد آدم ثويني، الشّعر الإجتماعي، الأسرة في الشّعر العربي.

أما الشعر بصفته مصدرًا لمعرفة من نوع خاص وجوهري في ثقافة المجتمع العربي قبل الإسلام، جدير بكشف النقاب عن صورة المرأة في هذا المجتمع بقدر ما هو جدير بإماطة اللّثام عن صورة الرّجل في المجتمع نفسه[1].

ومن هنا يمكن القول بأنّ المرأة قد نالت حظًا أوفر في الأدب الجاهلي عمومًا ولاسيما الشعر، فلقد ذكر الشّعراء المرأة ومدى تعلّقهم بها وحنينهم إليها، وهذا ما يدلّ على أنّ المرأة كانت ذات منزلة رفيعة ومكانة عالية عندهم، فهي الزّوجة أو الحبيبة وهي الأم والبنت والقريبة والسبية. وقد كانت دائمًا موضوعًا للرّجل، وقد إستطاع شعراء الجاهلية، أن يصوروا محاسن المرأة وقتها وجمالها، حيث أصبح ذكر المرأة في مطالع القصائد أمر مألوفا جرى عليه الشّعراء لِاستمالة نفوس النّاس وحسن اِصغائهم[2].

إذن كثيرة هي الكتب والبحوث والمقالات الّتي كتبت في موضوع المرأة في الشّعر الجاهلي، وهو موضوع لا شك جدير بالعناية والدّراسة، ذلك أنّ المرأة في العصر الجاهلي وفي الشّعر بالذات، ظاهرة اِحتلت مساحة واسعة وجيزًا رحبا، وكان لها حضور متميز في القصيدة العربية قبل الإسلام، كان ذلك لِاحتلالها منزلة عالية ومكانة مرموقة في المجتمع العربي قبل الإسلام وبعده عن أنّها لغة الحب، ورمز الدفء والحنان ذات قدرة سحرية عجيبة على إثارة العواطف والأحاسيس، فهي ملهمة الشّعراء في حالات الهدوء والِاستقرار، وهي كذلك ملهمة الأبطال في ساحات الوغى.

يقول الدكتور "نوري القيسي": «ولقد لعبت المرأة دورًا كبيرًا في الحياة الجاهلية بكل صورها وبجميع أشكالها، فهي ملهمة الأبطال في ساحات الحرب وموحية الرقة واللّطف في لحظات الهدوء والِاستقرار، منحتها الطبيعة الصامتة معاني الحياة الجميلة، فأصبحت أغنية عذبة تتردد على أفواه الشّعراء».

[1]– عمر بن عبد العزيز السيق، الرّجل في شعر المرأة، ص 22.

[2]– ينظر: سعدية حسين البرغثي، الأسرة في شعر ما قبل الإسلام، ص 130.

وكان لحضورها الدّائم هذا في الحياة العربية قبل الإسلام، مبرراته وأسبابه الكثيرة ولعلّ القهر الطبيعي كان واحدًا من أهم تلك العوامل والأسباب.

وذهب الدكتور "محمود عبد الله الجادر" إلى أنّ اِحتلال المرأة لهذه المكانة كان بسبب حضورها المتميز في وجوه النّشاط الإنساني فضلاً عن قدرتها على تشخيص قيم الاِستقرار ودفء المشاعر الإنسانية في بيئة تقفز من مظاهر لين العيش أو تكاد، وعلى هذا فقد أكثر من ذكرها الشعراء وتغنوا بها وخلودها على صفحات قصائدهم حتى لا تكاد قصيدة تخلو من ذكر المرأة.

لقد أسهب الأدباء والباحثون قديمًا وحديثًا بدراسة ظاهرة المرأة في الشعر الجاهلي، وأفاضوا بالحديث عنها، وفصلوا القول حتى ظنّ الكثير أنّ هذا الموضوع موضوع المرأة قد أشبع درسا ولم يبق فيه موضوع قلم ولم تكن هناك زيادة[1].

في حين رغب بعض العرب عند البنات، وذاعت بغضتهم وكراهيتهم لهنّ، فكانوا يقولون لمن تولّد له بنت: «أمنك الله منها العار، وكفاكم منها المؤونة».

فعادة "وأد البنات" الّتي كانت شائعة في الجاهلية على ما يبدو لنا من بشاعتها وفظاعتها كان مرجعها من ناحية إلى المجاعات المتتابعة الّتي كانت العرب تمنى بها بسبب قلّة المطر، وهو من ناحية أخرى إلى شعور بالشرف شاذ وكان الآباء يخشون أن يطمعوا أفواها لا جدوى فيها، أو يلحق بهم العار من جراء أسر فتياتهم في الحرب، فلذلك كان يعد مولد الفتيات كارثة.

إنّ الوأد صورة بشعة مارسها الجاهليون على بناتهن صغيرات كأنّهم كبيرات لكّنه لم يكن عامًا عند العرب، فلو كان كذلك لقلت النّساء وإزداد عدد الرّجال، ولتفاخر به الشعراء وذموا الّذين لا يئدون.

[1]- بهجت عبد الغفور الحديثي، دراسات نقدية في الشّعر العربي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، دط، 2009، ص 75- 76.

ب- العصر الإسلامي:

الإنسان في المتطور الإسلامي مخلوق كريم الله، ميّزه بالعلم والعقل والإرادة، فهو محور النشاط في الكون، وكرّم الله عزّ وجل الإنسان وفضله على جميع المخلوقات، قال تعالى: «ولقد كرّمنا بني أدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً»[1].

وخلق الله عز وجل الإختلاف والتمايز بين النّاس في الجنس والعرق واللّون وجعلهم أمما وشعوبا وقبائل بهدف التّعارف والتّعاون على الخير[2]، قال تعالى: «يا أيّها النّاس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير»[3].

فالإنسان مكرم بشطريه ذكر كان أم أنثى في الشريعة الإسلامية، فلقد كرّم الله تعالى المرأة ومنحها حق الحياة وسرى بينها وبين الرّجل في أمور عدّة، كما أنّ هناك أحاديث بنوية شريفة تبيّن مدى إكرام الإسلام للمرأة من حيث هي كائن بشري له حقوق وعليه واجبات، ومن مظاهر تكريم الإسلام للمرأة منحها حق التّعليم والعمل واِختيار الزّوج وحق الميراث وممارسة حقوقها المدنية.

كما أنّ للمرأة وضع مميّز إلى جوار الرّجل سواء في قول الدعوة الإسلامية وتأييدها، أو في رفض الدّعوة ومقاومتها، فقد دخل في الإسلام عدد قليل من النّساء، وهاجر إلى الحبشة أحد عشر رجلا وأربع نساء، أو عشرة رجال وأربع نساء هم أوّل من هاجر من المسلمين.

---

[1]- الإسراء، الآية: 70.

[2]- سعد فهد الذويخ، صورة الآخر في الشّعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي.

[3]- الحجرات، الآية: 13.

وشاركت المرأة في الغزوات في عهد الرّسول، وفي الفتوح الإسلامية في عهد الخلفاء الرّاشدين بما يناسب طبيعتها، واِستوطنت مع الرّجال من الجيش العربي في فارس والشام ومصر.

وقد حث الإسلام على حسن اِختيار الزّوجة وحسن معاشرتها، يقول تعالى: «وعاشروهن بالمعروف»[1].

وقد ساوى الدّين الإسلامي بين الرّجل والمرأة في العديد من الحقوق العامة مثل:

- حق التّعليم.
- المشاركة في القتال.
- حق المشاركة السياسية.
- المساوة بين الرّجل والمرأة أمام القانون.
- المساواة في حق العمل.

كما ساوى الإسلام بين الرّجل والمرأة فيما يتعلّق بالزّواج والعلاقات الأسرية مثل:

- الحق في اِختيار الزّوج.
- حقوق الزّوجة في الإسلام.
- معالجة الإسلام لعثرات الحياة الزّوجية.
- وغيرها من القضايا الّتي أنصفت المرأة[2].

هذا وقد حظيت المرأة الأندلسية خاصة مكانة مرموقة تميزت بها حتى برزت في المشرق الإسلامي، وقد لاقت المرأة الأندلسية تكريما عزّ نظيره في المجتمعات الأخرى.

[1]- النساء، الآية: 19.

[2]- محمد حسن غانم، مدخل إلى سيكولوجية المرأة، قضايا واِستشكالات نفسية، اِجتماعية، دينية واِقتصادية.

هذا ما صدحت به قمر جارية إبراهيم بن حجاج اللّخمي* صاحب إشبيلية، فقد تغنت بكرم سيدها ونزولها في رحبة الفسيح، وأعربت عن غاية سرورها وتكريمه لها.

فقد أولت الأسرة الأندلسية اِهتماما بالبنت منذ اليوم الأوّل من ولادتها، فمن الإهتمام: يطلق عليها اِسم إحدى شهيرات الإسلام مع كنية تنادى بها مثل: أم كلثوم، أم الحكم، أم عاصم، ويطلقون على البيئات أسماء مستمدة من أسماء الزهور للمنصور بن أبي عامر* ثلاث بنات سماهن: بهارا، نرجس وبنفسجا، ويحرصون على تنشئتهنّ على الصلاح ومكارم الأخلاق منذ نعومة أظافرهنّ، حتى تنتقل إلى بيت زوجها وتكون معه في ودّ وصفاء فلا تذم عشرته.

ونالت المرأة الأندلسية حظا وافرا من التّعليم، فنبع عدد كبير منهنّ في العلوم والآداب والفنون، وكان يعهد إليهن تربية أبناء الأمر والأغنياء وتأديبهم، فهذا اِبن الحزم قد تلقى ثقافته الأولى على يد نساء قصر أبيه، حيث يقول: «ولقد شاهدت النّساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، لأنّي ربيتُ في حجورهن ونشأت في أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلاّ وأنا في حد الشباب وحين تبقّل* وجهي، وهنّ علمتني القرآن وروّيتني كثيرًا من الأشعار ودرّبتني في الحظ...».

وأصبح لنساء الأندلس دور بارز في الإزدهار الحضاري الّذي عم الأندلس فبرز منهن حاذقات بمختلف العلوم، والفنون، وقد لمعت أسماء نساء عديدات في كلّ مجال من

---

* – إبراهيم بن حجاج بن عمير بن جيب اللّخمي أبو إسحاق: من أهل اِشبيلية، ومن بين بنيه تلد حكم اِشبيلية، أيام الفتنة الأولى الّتي بدأت أثناء حكم الأمير محمد بن عبد الرّحمان (238هـ– 273م)، وكان جواد كريما ممدحًا.

* – هو أبو عامر: محمد بن عبد الله بن أبي عامر المعروف بالمنصور معافري قحطاني أصله من الجزيرة الخضراء، ورد إلى قرطبة شابا، فطلب العلم والأدب وسمع الحديث، ثم اِرتقت حاله ثم تسلم الحكم وزمام الأمور بعد وفاة الحكم سنة 366هـ، غزا سبعا وخمسين غزوة ولم تهزم له راية بني مدينة الزهراء سنة 368هـ، توفي سنة 392م وعمره 65 سنة.

* – بقل: بقل وجه الغلام إذا نبت شعر خده ولحيته.

مجالات العلم والأدب، فكان منهن حافظات للقرآن الكريم، وفي علم الحديث النبوي الشريف وروايته لا يقل عدد روايات الحديث عن عدد حافظات القرآن الكريم[1].

ولاشك أنّ هذا كلّه ترك أثرًا مباشرًا وغير مباشر على وعي الشعراء بالمرأة في عصر الإسلام، وإن ظلّ تصور الشّعراء للمرأة في ذلك العصر لا يتجاوز كثيرًا تصوّر عصر الإسلام، لأسباب كثيرة أهمها اِتجاه نظر الشّعراء في المقام الأوّل إلى عالم الشّعر يستمدون منه نماذجهم الجمالية واللّغوية والشّكلية[2].

وأكثر هؤلاء الشعراء مخضرمون شهدوا الجاهلية والإسلام، وأكثرهم قال الشّعر في العصر الجاهلي، فضلا عن أنّ الأغلبية كانوا من شعراء البدو البعيدين عن مركز الدّين في المدينة ولم يتأثروا بالإسلام التأثر الّذي اِنعكس في شعرهم بصورة عميقة ويتصل نموذج المرأة بتجربة الحب عند الشّاعر العربي اِتصالاً وثيقا، فالشّاعر يصف لوحة الفراق، وأثر الهجر، أو حرقة الهوى، ويقرن ذلك بوصفه لجمال تلك المحبوبة الّتي تركت في نفسه أثرًا بعيدًا.

ويتلخص تأثير المرأة عند شعراء صدر الإسلام في أنّها تصبى الناسك المتبتل تشفي المريض وتسقم الصحيح، تروق الفؤاد، تشفي الضجيع، ريقها خمر يدب في الجسم والقلب بها مولع، وجمالها يورد الموت، ويسبي العقول والقلوب، وتصبي الحكيم وهي بصفة عامة ذات حلّ، فريدة بكر، كسول، وهي: ظبية مغزل، أحسن من الدرة بيضاء، تأبى لما يأبى الكريم، بهيرة تبهر من يراها بطلعتها الوضاءة، تميل كما مال النقا، وهي من البيض الّتي عاشت بين أم عزيزة وأب بركريم، رقود الضحى شموس الأنس، آنسة.

وهكذا تبدوا المرأى نموذجا رائعًا للحسن والرقة والعذوبة، وهو نموذج اِمتد من العصر الجاهلي إلى عصرنا الحاضر، وما زال يشكل الإطار العام لصورة المرأة في الشّعر العربي[3].

---

[1]– محمد صبحي أبو حسين، صورة المرأة في الأدب الأندلسي.

[2]– حسني عبد الجليل يوسف، المرأة عند شعراء صدر الإسلام الوجه والوجه الآخر، ص 16.

[3]– المرجع نفسه، ص 25– 27.

من خلال ما تقدم يمكن القول أنّ المرأة في الإسلام تتمتع بمنزلة أرقى وأسمى مما كانت عليه في الجاهلية، فقد وهبها الدّين الإسلامي حقوقًا لم تكد تألفها من قبل كالحق في الميراث واِختيار الزّوج، والحق في العلم والعمل، هذا ما جعلها تحضى بمكانة مرموقة تعتز بها في المجتمعات خاصة العربية.

جـ- العصر الحديث:

في هذه المرحلة أصبح للمرأة دور فعّال في المجتمعات العربية والفضل يعود كله للديّن الإسلامي الّذي كفل لها حقوقا وسوى بينها وبين الرّجل في أمور عديدة، ثمّ إنّ القوانين كذلك منحت لها حقوقًا أخرى تستعين بها في الحياة الإجتماعية، فمنذ عام 1977 يمكن رصد العديد من المتغيرات الّتي لحقت بالمرأة خاصة المصرية مثل:

أ- الزيادة الملحوظة في عدد الفتيات الملتحقات بكافة مراحل التّعليم.

ب- زيادة ملحوظة في عدد العاملات في جميع القطاعات.

جـ- اِلتحاق المرأة بالعمل في بعض الوظائف الّتي كان لا يتخيل المرء أن تدخلها المرأة مثل الشّرطة والقوات المسلحة.

د- تعمل المرأة في مجالات متميّزة، إذ عملت في السّلك القضائي ووجدنا الكثيرات منهن يعملن في مجال الوعظ الدّيني والفتاوى.

هـ- في عام 2000 تم اِنشاء المجلس القومي للمرأة والّذي يهتم بالعديد من قضايا المرأة مثل:

1- اِقتراح السياسة العامة للمجتمع ومؤسساته الدستورية في مجال تنمية شؤون المرأة.

2- وضع مشروع خطة قومية للنّهوض بالمرأة وحلّ المشكلات الّتي تواجهها.

3- متابعة وتقييم السياسة العامة في مجال المرأة.

4- إيداع الرأي في جميع الإتفاقيات بالنهوض بالمرأة.

5- إنشاء مركز توفيق لجميع المعلومات والبيانات.

وقد اِنعكس هذا كلّه على الأدب شعرا كان أم نثرًا فهذا "نزار قباني" في شعره يتناول أسماء النّساء الجميلات اللّواتي يحملن شعره، ولكن اِسم "بلقيس" كان الأقوى في قلب "نزار". بلقيس هي زوجة الشّاعر نزار قباني لقد أحبها حبا لا مثيل له، الحب الّذي وصل حد التقديس، وكانت بالنّسبة له اِمرأة ووطنًا، وصدرًا حنونًا، وقد كان نزار يحب العراق حبًا كبيرًا لأنّ وطن زوجته بلقيس ولقد كان كثيرًا ما يردد اِسمها في قصائده، وفي أحاديثه وكتاباته النثرية، حتى في قصائده السياسية والوطنية[1].

كمّا عرّف "نزار قباني" النّساء أعراقا وجنسيات وألوانا ونماذج، الفتاة والمرأة والتلميذة والعاملة والثرثارة والصامتة، والخجولة والمتقصية من القيم، وذات الحياء وهي سوق البغاء يقول: «من كلّ اِمرأة تعلمت كلمة من كتاب الحب، من الدمشقية تعلمت الوداعة واِنكسار الجفن، ومن العراقية تعلمت الوضوح والكبرياء، ومن الفرنسية تعلمت الخبرة، ومن الصينية تعلمت الحكمة، ومن الإنجليزية تعلمت العمق ومن الإسبانية تعلمت العنف، ومن اللّبنانية اِكتسبت خبرة الفينيقيين في تغير السفن وتغيير المرافئ»[2].

ولم يكن اِختيار "نزار قباني" لعالم المرأة لعبا بالغرائز والرغبات المقموعة، أو تحريضا مجانيا لها، وإنّ إختيار المرأة هو الخيار الأمثل لشاعر يريد قلب نظام الأشياء، وكسر قشرة الكون. إنّ المرأة بالنّسبة لظروف المجتمع العربي التقليدي صارت تشكّل عبر التّاريخ على ما تزعم حصان الرّهان الّذي ينتقيه المبدع والمثقف ليثبته جدارته بالحيازة على لقب التحرّر والثورية الحضارية، فالمرأة فعلا محك اِختبار خطير للإبداع والثقافة والسياسة، ويمكن للأمم أن تفاخر بما وصلت إليه المرأة فيها على مستوى تحقيقها لحريتها.

[1]- عبد الفتاح الدراويش، نزار قباني في حياته وشعره الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص 15، 16.

[2]- التهامي الهاني، الوطن والمرأة في شعر نزار قباني، ص 75.

5- صفات المرأة العربية:

تتصف المرأة العربية بجملة من الصّفات الخلقية منها العفة والحياء، وقد حاول الأدباء أن يصوروا هذا المجال المعنوي في أحسن صورة، فهي عفيفة تحافظ على سمعتها حتى أنّ هنا لا تلتفت أثناء سيرها، كما أنّها اِمرأة كريمة خاصة بجيرانها، حسنة الحديث لا تتحدث مع الرّجال وإن تحدثت أوجزت، إضافة إلى أنّها ترى زوجها وتصونه في غيابه، كما أنّها متزنة في مشيها، منزهة عن الفحشاء والعيب تمتاز بغض البصر، فالأخلاق العربية عامة قامت على الاعتزاز بالشرف والحرص على سمعة الأسرة، وكانت المرأة العفيفة الظاهرة في المثل الأعلى في نظر الرّجال، وهذا موطن اِعتزاز وفخر وتقدير عند العرب.

وقد كرهت العرب المرأة المتبذلة وأثروا المرأة الحرة العفيفة لأنّ هذا يعني أنّها من بيئة محافظة تحمي الفتاة وتصونها.

وقد عد التلون والتقلب من أهم صفاتها وخصائصها:[1]

ومثال ذلك أنّه سئل أعرابي عن النّساء، وكان ذا تجربة وعلم بهن فقال: أفضل النّساء أطولهنّ إذا قامت وأعظمهنّ إذا قعدت، وأصدفهن إذا قالت: الّتي إذا غضبت حلمت وإذا ضحكت اِبتسمت، وإذا صنعت شيئا جوّدت، الّتي تطيع زوجها وتلزم بيتها العزيزة في قومها الّتي لديه في نفسها الودود الولود وكلّ أمرها محمود[2].

ومن هنا يمكن القول أنّ الأدباء اهتموا اِهتماما كبيرا بالجمال المعنوي لدى المرأة وتجلى هذا الاهتمام في حديثهم عن عفنة المرأة وحياتها، وعن صفة التقلب والتلون واختلاف المواعيد الّتي تدلّ على عفنها وحرسها على سمعتها[3].

---

[1]- ينظر: منذر ديب كفافي كفافي، صورة المرأة في شعر الصعاليك واللّصوص حتى نهاية العصر الأموي، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009، ص 17، 30.

[2]- سعد فهد الذويج، صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، ص 292.

[3]- ينظر: منذر ديب كفافي كفافي، صورة المرأة فيشعر الصعاليك والنصوص حتى نهاية العصر الأموي، ص 30.

أمّا الجسدي قد تجسدت في اِستلاء أردافها ونعومة خديها، كما تحدث الشعراء عن بعض الصفات الجمالية الجسدية للمرأة ومنها الوجه، ولون البشرة والعنق والعين والأسنان والقيم وغيرها، أما فيما يتعلّق بالوجه فاستحسنوا أن يكون صافي اللّون ناعما جميلا نقيا، كما أحبوا أن يكون لامعا مشرقًا مستديرًا، أمّا بالنّسبة للبشرة فأحبوا أن تكون بيضاء ناعمة والعنف كذلك لأن يكون طويلاً جميلاً، وتحدثوا أيضا عن العين لأنّها الممر الحقيقي إلى القلب وكانت العيون وما زالت مصدرا عن مصادر إعجاب الرّجل بالمرأة، فلم ينس الشعراء أن يصوروا أعضاء المرأة تصوير رائعا من رأسها إلى أحمص قدميها، وهذه أهم مواطن الجمالية الجسدية عند المرأة، كما صورها الأدباء، وواضح يستمدون هذه السّمات من الّتي يعيشون فيها[1].

هذه أهم صفات المرأة العربية في نظر الشعراء والأدباء، بخلاف نظريتها في الغرب بوصفها موضوعة جنسية شهوانية سهلة، ومن ثم فهي في هذا الموضوع بالذّات بلا أخلاق أو سلعة جسدية تباع وتشتري ما دامت تمتلك جمالاً مغري بطريقة أو بأخرى أمام الجميع أيضا وتغدوا من منظور الأنا رمزا لانتهاك عرض الآخر أسلوب غرائزي حيواني، ولتحقيق اِنتصارات وهمية لفحولة الشرق على أنوثة الغرب في مقابل حضور استعماري عربي عسكري منذ الحروب الصليبية إلى اليوم في الوطن العربي.

وعادة ما تفهم العلاقة بالأخر على مستوى الأنثى محصورة في نمط العلاقات العاطفية الحسية والجنسية الشهوانية تحديدا، وهنا لابد أن يتشكل الوعي الذكوري العربي في سياق غزو جسد الأنثى الغربية بصفتها مجرد موضوعة جنسية شيقة ومستباحة، وقد عودت الرّوايات العربية الرائدة على اِظهار الفحولة العربية المنتصرة دوما على الجسد الأنثوي الغربي المهزوم جنسيا في كلّ الأحوال، مقابل اِنتصارات عسكرية وسياسية اِستعمارية يحققها ذلك الأخر في المشرق.

[1]– منذر ديب كفافي كفافي، صورة المرأة فيشعر الصعاليك والنصوص حتى نهاية العصر الأموي، ص 31– 39.

في المقابل بالنسبة إلى النّصوص السّردية الأخلاقية، نجد أن هناك تعفف تجاه المغامرات الجنسية غير الشرعية في الغرب، بحيث يبقى البطل محافظا على ذاته يفعل قيمة العربية وتعاليمه الإسلامية[1].

ويمكن تحديد صورة المرأة الغربية السلبية فيما يلي:

- التفريق بين مفهومي (الحب) و(الزواج)، حيث يمكن أن تقوم المرأة علاقة حب دون زواج وهو منطلق مرفوض في العادات والتقاليد العربية.
- قبولها بأعمال يمكن أن تعدّ مهيئة.
- رفض بعض النّساء الغربيات العيش إلاّ في بلادهن حتى لو تعرضت أسرتها إلى التفكك.
- ضياع المرأة بين مفهومي الحرية والتحرر.
- عدم اِحترام المرأة لسنها وشيخوختها وتصرفها تصرفا لا يليق بعمرها[2].

لكن هذا لا ينفي وجود صفات إيجابية للمرأة الغربية من حيث صلبة وقوية، مخلصة لزوجها محافظة على أسرتها، ذكية تفكر تفكيرًا منطقيًا، تحاول دائما الوقوف جنبا إلى جنب مع شقيقها الرّجل، كما أنّها اِمرأة إنسانية تستطيع أن تتعايش مع غيرها إضافة إلى أنّها مبدعة.

6- المرأة في المجتمع العربي:

شهت المرأة العربية تسلطا من قبل الرّجال وبلغ الأمر ببعض الأفراد في بعض القبائل إلى واد البنات، أما بعد مجني الإسلام فقد تعززت مكانة المرأة في عهد الرسول –ص–

[1]– حسن المناصرة، مقاربات في السر، عالم الكتب الحديث، أربد، ط 2012، ص 203– 204.

[2]– غريد الشيخ، الأدب الهادف في روايات غائب خطورة أبو الفرح، قناديل للتأليف والترجمة والنشر، ط 2004، ص 102– 104.

الّذي أنزل المرأة منزلا حسن[1]، أمّا حديثا فقد اِستمرت المجتمعات العربية في حفظ وتطوير حقوق المرأة الّتي منحها لها الإسلام والّتي تمثلت في مجموعة من العوامل جاء في مقدمتها تعليم الفتاة، وكان رفاعة رفع الطهطاوي" واحدا من الّذين نادوا بهذا المبدأ «حيث عبّر عن إعجابه بديمقراطية الغرب، ومشاركة المرأة في الحياة الفرنسية، وقد دعا الطهطاوي إلى تعليم النساء ولكنه لم يجرو على مناقشة قضية "السفور والحجاب" القضية الّتي سيتطرّق لها فيما بعد "قاسم أمين" الّذي كان يؤمن بأنّ لا نهضة لمجتمع تشاؤه قاعدات»[2].

لقد كتب "قاسم أمين" عام 1899 كتاب تحرير المرأة الّذي أحدث ضجة، فهجمه بعض رجال الأزهر، وبالمقابل فلقد لقى التأييد من بعض المستنبرين من أمثال "سعد زغلول" الّذي أهدى له المؤلف الكتاب و"محمد عبده"، كما ألّف "قاسم أمين" بعد ثلاث سنوات كتاب "المرأة الجديدة" وقد لقي الكتاب تأييد الكثير من الأنصار نذكر منهم "ملاك حنفي" باحثة البادية الّتي عرفت بدعوتها إلى تحرير النساء.

ويعد "قاسم أمين" ظهر "عبد الحميد حمدي" الّذي أسّس مجلة أسبوعية عام 1915 سماها "السفور" واِستمرت في الصدور حوالي سبع سنين، وكان من كتابها "طه حسين" و"محمد حسين هيكل" و"منصور فهمي".

كما نشطت الحركات النّسوية في الأقطار العربية الأخرى، فقد عقد المؤتمر الأوّل للنساء في بيروت سنة 1919، والمؤتمر الثّاني سنة 1922، ومطالب مثل هذه الملتقيات والمؤتمرات الدعوة إلى المساواة بين الجنسين في الوظائف المهنية والحقوق، «كمنح المرأة حق الانتخاب والترشيح للبرلمان، لأنّ هذه المسؤولية ستجعلها تهتم بالمجتمع فتزيدها يقظة وتحملها على درس السياسة وقراءة المصحف والكتب، أي تزيد إنسانيتها»[3].

---

[1]– مفقودة صالح، المرأة في الرّواية الجزائرية، ص 22، نقلا عن سلامة موسى، المرأة ليست لعبة الرّجل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1956، ص 22.

[2]– المرجع نفسه، ص 23.

[3]– سلامة موسى، المرأة ليست لعبة الرّجل، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ص 35.

ولا تزال الأقلام الداعية إلى تحرير النّساء تؤكّد نفس النّساء، نجد ذلك فيما تكتبه "موال السعداوي" في مصر، "فاطمة المرتسي" بالمغرب، "زينب الأعوج" في الجزائر و"فاطمة أحمد إبراهيم" من السودان، كما نجد أصواتًا رجالية تساند قضية حرية المرأة وتتبناها "كمحمد بنيس" في المغرب "الأعوج واسيني" في الجزائر، لكن ثورة النّساء العربيات الّتي تولدت عن عصر النهضة، وإذا كانت رفعت عن المرأة بعض الحيف إلا أنّها لم تمكّنها من نيل حريتها، ومع ذلك فإنّ واحدًا من أنصار المرأة "محمد بنيس" يرى بأنّ هذه الثورة ناجحة يقول: «ثورة المرأة هي الثورة الغريبة الّتي اِنتصرت في كل مكان سلمية لا مثيل لها أرى (هكذا) المغربيات والعربيات، فألتقي بثورتهم السلمية منذ الخمسينات، سقور في تقرير العائلة، سياحة في الشاطئ، رفض الزوجة الثانية»، ومما سبق يلاحظ أنّ خطاب النهضة يدعوا إلى المثاقفة والاحتكاك بالآخر، ولم يقف هذا الخطاب في مواجهة الدين بل اِنطلق من فكرة أن لا تعارض بين الدّين والنّهضة ومن ثمّة ففي رأي "نصر حامد أبو زيد" فإنّ خطاب النّهضة خطاب بناء وليس خطاب تفتنت[1].

ومن هذا لا يمكن الوصول إلى أنّ المتتبع لحياة ووضعية المرأة عبر العصور يجد أنّها حاضرة في كل المسائل الكبرى الّتي تتعلّق بمصير المجتمع، فالمرأة هي ركيزة المجتمعات العربية لما تحمله على عاتقها من مسؤوليات وواجبات داخل المنزل وخارجه لهذا نجد "البشير الإبراهيمي" يقول: «المرأة هي نصف المجتمع وهي الّتي أنجبت النّصف الآخر، إذن هي المجتمع بأكمله».

7- المرأة الجزائرية:

إنّ الحديث عن المرأة في تاريخها الطويل والمتنوع، والتّطرق إلى أوضاع المرأة العربية بصفة عامة أن يغني عن التطرّق لوضع المرأة في الجزائر، ذلك أنّه لكل قطر عربي ظروفه ومتغيراته الّتي على أساسها ترسم العلاقات بين الأفراد.

[1]- مفقودة صالح المرأة في الرّاوية الجزائرية، ص 27.

تقسم "أديب بامية" تاريخ المرأة الجزائرية في العصر الحديث إلى ثلاث مراحل هي:

1- الفترة الإستعمارية.

2- فترة حرب التحرير.

3- فترة الاستقلال[1].

1/ الفترة الاستعمارية:

كان وضع المرأة الجزائرية في هذه المرحلة متخلفا للغاية فحالة الكتب والإهمال والجهود الّتي كانت تتخبط فيها جزء لا يتجزأ من الوضع العام الّذي كان يسود البلاد، فشاركتها في المجتمع لم تتعد دور الإنجاب والطبخ وبعض الأعمال البدائية كغزل الصوف ونسيج البرانيس والزرابي ومساعدة الرجل في أعماله الزّراعية بالحقول، فالفتاة الجزائرية منذ بلوغها الأنثوي يفرض عليها النقاب، ويحظر عليها الخروج من البيت إلاّ إلى الحمام، ولم يكن لها رأى في الزواج أو المهر أو العريس، فالأهل هم المقررون، كما كانت تعاني من أثار الطلاق وتعدّد الزوجات.

كانت المرأة الرّيفية أمية محرومة من التّعليم، فلا يحق لها دخول الكتاب ولا الزوايا التّعليمية، أمّا نساء المدن فقد اِقتحم بعضهن بحياء وتستر مدارس البنات بعد الحرب العالمية الأولى، ولكّنهن كناقلة قليلة أخذت تزداد في الأربعينات.

فالمرأة الجزائرية الّتي حرمت من كلّ شيء أصبحت فريسة سهلة للخرافات والبدع والشعوذة وأصبح نشاطها الاجتماعي يدور حول نقل الأجنجة وحرق البخور، وزيارة الأولياء، وهذا راجع إلى التخلّف الفكري والتّأويل الخاطئ لمبادئ الإسلام السمحة.

[1]- مفقودة صالح، المرأة في الرّواية الجزائرية، ص 27.

وما يجب ذكره هو أنّ المرأة الجزائرية لم تسلم من عمليات التعذيب والتشكيل منذ أن وطنت أقدام المستعمر أرض الجزائر، كما كانت هدفا لعمليات العنوان المقصود منها تخريب المجتمع الجزائري وهذا عن طريق الحرب النفسية والمعنوية[1].

2/ فترة حرب التّحرير:

كانت الثورة الجزائرية المسلحة الّتي اِنطلقت عام 1954 أشبه ما تكون بالتعبير العام، حيث هب الشعب للكفاح بكلّ ما يملك وما يستطيع يتساوى في ذلك الذكور والإناث.

وقد أثبتت المرأة جدارتها في الكفاح بمساعدتها الرّجل، ويعمل السلاح أيضا تقول الباحثة "أديب بامية" «لقد برهنت الحرب حقا أنّها كانت الفترة الذهبية في تاريخ المرأة يردها هذا البلاد إلا إيمانًا وعزمًا وعنادًا وإصرارًا في اسمانتها في الدّفاع عن قضية وطنها»[2].

وإذن فإنّ الأدوار المتعددة الّتي قامت بها النساء خلال الثورة قد اختلت خلخلت في العلاقة الاجتماعية، فاِرتقت لأوّل مرة مكانة المرأة ونسجت حول بطولتها القصص والحكايات الّتي سيتغذى بها الأدب القصّصي فيما بعد[3].

3/ فترة الاستقلال:

أتت فترة الاستقلال عام 1962 وفرح الشعب بهذا النّصر المبين وظنّ كلّ فرد أنّه سيصل إلى ما يصبوا إليه لكن الواقع كان مريرا إلى درجة كبيرة، فمرحلة البناء والتشييد كانت صعوباتها لأقل عن صعوبة مرحلة الكفاح المسلّح، وبالنسبة للنّساء فقد وجدت أنفسهن بعدت، حيث صار ينظر إليهن تلك النظرة الاستعلانية وكأن السنين السبع لم يكن إلاّ اِستثناء للقاعدة، ونشازًا في مأساة طويلة، تبدأ منذ ما قبل الاحتلال الفرنسي لتستمر عبر الزّمن. تصف الكاتبة "جوليت ملس" هذه الفاجعة الّتي أصابت المرأة الجزائرية قائلة: «أخيرًا

[1]– كفاح المرأة الجزائرية، دراسات بحوث للملتقى الوطني الأوّل حول كفاح المرأة، منشورات المركز الوطني للدّراسات والبحوث في الحركة الوطنية، وثورة أوّل نوفمبر 1954، ط2، مزيدة ومقنعة، ص 326، 328.

[2]– المرجع نفسه، ص 29.

[3]– مفقودة صالح، المرأة في الرّاوية الجزائرية، ص 29.

جاء الاستقلال، وأعيدت النّساء إلى بيوتهنّ بعضهن بوجه عام الأصغر كانت قد اِعتقدت أنّ نضالها يمنحها حقوقا سرعان ما خاب أملها»[1].

أصيبت النّاس بخيبة أمل بعد الاستقلال، لأنّ المجتمع عاد إلى صورته الطّبيعية الأصلية الّتي تنظر إلى المرأة على أنّها قاصرة لكن المرأة الّتي أثبتت جدارتها أثناء الثورة ما كان لها أن تستسلم بسهولة فقد تأثرت بالموقف التحرري، وظلت تطالب بحقها إلى ميدان الشّعر والتعلّم الجزائرية، إذ أنه في أعقاب اندلاع الثورة ظهرت تغيرات مفاجئة شاملة وبعيدة المدى في وضعية المرأة[2].

إنّ مكانة المرأة في ثورة التحرير لا تقف عند مجرد المشاركة فقط، وإنمّا يتعدى دورها إلى أبعد من ذلك إنّ المرأة بالنسبة للجزائر هي الجزائر نفسها، وهي الأمة بكاملها باعتبارها الوعاء الّذي ضمن استمرارية وجود الأمة منذ أقدم العصور وإلى اليوم وغدا.

فالمرأة كانت دائما ترمز إلى العرض والشرف والأصالة، والمرأة الجزائرية كانت على موعد في التاريخ فقد ناضلت بعنف وقاومت بشجاعة نادرة إلى جانب أخيها الرّجل مختلف أشكال الحملات الغازية وبشراسة مثيرة حافظت على طهارة شرفها ولم يدنّس عرضها، ولم تنجب إلى الرّجال أبناء الرّجال، فحافظت بذلك على نقاوة نسلها وضمنت اِستمرارية وجود أمتها فتحية إليك أيتها الأكارم وأبناء الأكارم، وإنه مع انطلاقة الرصاصة الأولى الّتي أذنته بميلاد ثورة نوفمبر 1954 كانت حناجر النّساء تولول الزغاريد عالية إيذانا بفرحتها الكبرى ومباركتها، لهذا الحدث الّذي طالما انتظرته ودعمها بقوة للثورة الّتي تعيد إليها مكانتها اللائقة بها في وطنها.

[1]– مفقودة صالح، المرأة في الرّواية الجزائرية، ص 30، نقلا عن: مجلس جوليت المرأة في العالم العربي، تر: إلياس مرقص، دار الحقيقة للطباعة والنشر، 1981، ص 102.

[2]– مفقودة صالح، المرأة في الرّواية الجزائرية، ص 28، نقلا عن: بامية عايدة أديب متطور الأدب القصصي الجزائري مترجمة محمد حقو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 205.

لقد كانت مشاركة المرأة الجزائرية في ثورة التّحرير منذ اِنطلاقتها فاعلة، فقد تطوعت في صفوف جيش التحرير الوطني جندية مقاتلة وممرضة تصعد الجراح ووسيلة تأوي وتطعم وتنظف وفدائية باسلة ومناضلة ومرشدة محفزة للهمم، دفعت بزوجها واِبنها وأخيها إلى ميدان القتال والجهاد حرصا على نيل الشهادة، أو الفوز بالنصر، كما دفعت الثمن باهضًا وأكثر فلقد ترملت لفقدان الزوج، وتشكلت بفقدان الأبناء والأحفاد، فالذّات الأجداد، وتيتمت بفقدان الأب، وعذبت وسجنت واستشهدت لكنها مع كلّ ذلك لم تفشل.

وعلى الرّغم من أنّ المرأة الجزائرية قد حققت بعض مطالبها من خلال القوانين حيث أكّد كلّ من "برنامج طرابلس" و"ميثاق الجزائر" على مساواة المرأة بالرّجل إلاّ أنّ هذه المساواة لم تتحقق كاملة، فقد بقت المرأة وسيلة للمتعة أو للخدمة قبل كل شيء.

أنّه ويبدوا أنّ السلطة الحاكمة لم تذهب بعيدًا في ميدان تحرير المرأة ومساندتها وذلك لجملة من الأسباب يمكن إجمالها فيما يلي:

1- الصعوبات الّتي كانت تعاني منها البلاد وخاصة المالية منها، جعلت البلاد لا تهتم إلاّ بالمشكلات الاقتصادية، واضعة حقوق المرأة وواجباتها ضمن الأمور الدّاخلية البسيطة الّتي يمكن التفرّع لها فيما بعد.

2- الجيل القديم من النّساء أنفسهن لم يكن ينتقدن بسهولة أمام تيار التحرّر والمساواة بل قد أثرت سلبا على بذاتهن[1].

إنّ المرأة الجزائرية كغيرها من نساء العالم العربي، صانعة ومشاركة في الأحداث حاملة على أكتافها أعباء الوطن الكبرى، كما أنّها نالت نصيبها من القتل والتعذيب والأمر إلى جانب شقيقها الرجل، ولقد سجل التّاريخ الكثير من أسماء الشهيدات والمجاهدات والبطلات منهن، جميلة بوحيرد، حسيبة بن بوعلي وغيرها.

[1]- مفقودة صالح، المرأة في الرّواية الجزائرية، ص 29- 30.

8- قضايا المرأة:

اِحتلت المرأة مساحة كبيرة في الرّاوية العربية، لأنّها تشكّل دعامة أساسية في المجتمع الّذي شغل اهتمام الكثير من الرّوائيين الّلذين حاولوا بدورهم تفهم وضعية المرأة أو الأنثى في المجتمع والوصول إلى صورة متكاملة عنها، هذا ما يتطلّب الحديث عن قضايا هامة في عالم المرأة منها.

1/ المرأة المبدعة:

إنّ الإيداع هو النبوغ والتميز والتوفق وحينما نقول المرأة المبدعة، أي ما أنتجته المرأة من أدب كان بائعا متميزا متوفقا على غيره، لقد نبغ في التّاريخ الأدبي نساء كان عزة في جبين الدهر، وشموسا تضيء على أهل كلّ عاصره وإنّ المطلع على الشّعر الأندلسي يلاحظ أنّه كانت هناك نهضة شعرية نسوية أسمهن في رسم الصّورة المشرفة الحركية الأدبية في الأندلس.

يقول الدكتور الطاهر مكي: «وفي مجال الإبداع الأدبي بخاصة كان للمرأة حظ وقبر منه، وهي متميزة فاق بها الأندلس غيره، من أصفاع الدولة الإسلامية».

ومما يتصل بهذا الأمر ما روي عن "أبي نواس" قوله: «ما قلت الشعر حتى رويت لسنتين اِمرأة من العرب، منهن الخنساء، وليلى... هذا في المشرق، فما بالك بشاعرات المغرب، فقد أجمع مؤرخو الأدب وممن كتب عن شواعر الأندلس، أنّ إسهام المرأة في الشّعر كان أكثر من نصيب أختها في المشرق».

والمرأة الشاعرة مغبونة ومنسية عند المهتمين بتدوين التراث العربي، إنّ الشعر النسائي مهضوم الحق، أهمله المؤرخون والرواة، فأضاعته الأزمان، وأضاعت معه أسماء كثيرات من الشواعر، وهذه ظاهرة ومحمل القول في ذلك: «إنّ رواة الشعر في عيد الجمع والتحصيل، كان يميلون إلى الغريب الحوشي، وشعر النساء يكاد يكون خلوا في هذه الخصيصة، كما أنّ الشاعر لسان قومه، يمدح قبيلته، ويعدد معاهد ومناقبها، وإذا خرب

الأمر دفع عنها وقاوم وشهر بالأعداء، والمرأة لم تكن تحل هذه المكانة في قبيلتها، لذا فقد عرف الرواة عن شعرها وهناك سبب آخر هو من الجائز أن يكون أصحاب الأخبار فقد وضعوا كتبا في أشعار النساء»[1].

بيد أنها ضاعت مع ما ضاع من التراث العربي الإسلامي، الّتي تعرضت لهجمات الأعداء على مر التاريخ، ومما يعزز هذا الرأي، ما ذكرته بعض المصادر الأندلسية أنّ هناك مؤلفات كتبت عن المرأة، عدت من التّراث العربي المفقود، الّذي إمتدت إليه أيادي الحقد والتدمير بعد سقوط الأندلس[2].

2/ المرأة المتعلمة:

إرتبط تعليم المرأة عموما بالحديثة لارتفاع نسبة التّعليم فيها بخلاف الريف الّذي ترتفع فيه نسبة الأمية والأصل تنال الأنثى نصيبها من التّعليم حتى تتسع أفاق تفكيرها، وتكتسب وعيا بالعالم المحيط بها وتتاح لها فرصة العمل الّتي تناسب إمكانيتها، فتلعب دورا في نمو المجتمع وإزدهاره وتستقل إقتصاديا بعد أن حررّها التّعليم فكريا، عندئذ تصبح قادرة على التصرف مالكة لقرارها[3].

3/ المرأة العاملة:

حتمت مجموعة من العوامل خروج المرأة للعمل ووجدت المرأة نفسها مدفوعة بعوامل عديدة ومدعوة بعوامل أخرى منها ما هو نفسي ومنها ما هو إقتصادي إجتماعي ومنها ما هو ثقافي حضاري، ومنها ما هو إنساني أخلاقي، فكثير ما تجد المرأة ذاتها أمام مطالب وتوقعات متعددة أو إختيارات صعبة قد تكون مستحيلة في بعض الأحيان، فما ينتظره البيت منها لا يمكنها منه أداؤها لواجبات عملها خارج البيت وما يتوقعه الزواج وينتظره قد تحول دونه حاجات الولد ومطالب البيت أو ضيق الوقت ونفاذ الجيد وما تتمناه لذاتها أو ترجوه

[1]– محمد صبحي أبو حسين، صورة المرأة في الأدب الأندلسي، في عصر الطوائف والمرابطين، ص 174– 175.

[2]– المرجع نفسه، ص 173.

[3]– حسين عيد مادى يوسف إدريس، الصراع والمواجهة، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنشرة الإسكندرية، 1999، ص 82.

لنفسها من صور معينة تبدو شكلا وأداء أو تحقيقا لقيم أو مثل عليا قد لا يتاح لها حينما تجد نفسها موضوعة دائما أمام اِختبارات وأولويات متعددة وعليها أن تقدم منها وأن تؤخر حتى تستطيع أن تحافظ على الحد الأدنى من اِستمرار الحياة.

وإنّ الزوجة قد تتوافق وتتلاءم مع ظروفها المختلفة أو رغم ما يقال عن المرأة من أنّها كائن ضعيف من الرّجل أنّها من أجل أن تستمر الحياة وتقدر ظروف الزّواج أو حتى تحل محل الزّوج فإنها لا تتردد في إعالة أسرتها ولأسباب متعدّدة كشفت عنها إحدى الدّراسات.

أ- وفاة الزّوج.

ب- الطلاق.

جـ- مرض الزّوج[1].

إضافة إلى هذا يمكن للمرأة أن تعمل «حتى يبقى ذكاؤه يقظا ومعارفها في توسع وتجدد يجب أن تحيا في البيت وأن يكون لها نشاط دستوري ومدني واِجتماعي وثقافي حتى تعدد اِهتماماتها، وحتى تبقى عضوا متطورا في اِرتقاء الأمور وتطورها وحتى تتكوّن شخصيتها وتنضج مثل الرّجل سواء»[2].

إنّ المرأة عندما تجد الكرامة، وتجد الاستغلال، وتجد الأمل والثقة، فهي لا تقلق على مستقبلها ولا تخشى أن يفوتها زواج، وهي تعرف أن كرامتها وعيشها وسعادتها لا تتواقف على محاسنها الجسدية فقط، إذ أنّ لها محاسن أخرى هي ذكائها ومهارتها وإنسانيتها الّتي تنمو جميعها بالعمل، هذا العمل الّذي لا يرضيها وينضجها ويجعلها تكبر وتحيا الحياة الفنية الفلسفية في هذه الدنيا[3].

[1]- محسن حسين غانم، مدخل إلى سيكولوجية المرأة، ص 232- 233.

[2]- سلامة موسى، المرأة ليست لعبة الرجل، ص 47- 48.

[3]- المرجع نفسه، ص 47- 48.

4/ المرأة غير العاملة:

هنا يمكن الحديث عن المرأة المتعلمة لا تعمل، ربما لأنها من الطبقة البرجوازية في المجتمع الّتي يتاح لها بحكم اِمكانيتها الكبيرة توفير التربية الصحيحة والتّعليم والرفاهية بخلاف نظيرتها في الريف والأحياء الشعبية في المدن والّتي تعاني ظروفا اِقتصادية واِجتماعية مزرية، أو ربما لأنّها مكتفية بدورها كزوجة وربة بيت[1].

5/ المرأة غير متعلمة:

تنشر الأمية في المجتمع بشكل رهيب وأن ثبتت أنها أكثر اِتساعا محيط الإناث عن الرّجال، وبطبيعة الحال تزيد في الرّيف عن الحضر، وقد يرجع السبب أساسيا إلى ظروف الفقر والتّقاليد ونقص الوعي وغيرها من الأسباب، وإن بدت المحملة في النهاية أن تضل الأنثى بإستمرار مجرد ظل تابع، لا تملك اِستقلالها أو قدرتها على التصرف واِتخاذ القرار والاستمتاع بحياتها.

ولابد هنا أن نفرق بين نوعين من الإناث وهما: الأنثى العاملة والأنثى التي لا تعمل:[2]

- الأنثى العاملة:

الأصل في العمل أن يحقق الإنسان من خلاله وجوده، وكلما ارتقى المجتمع كما أتاح الفرصة لأبنائه ليجدوا فرص العمل الّتي تناسب إمكانيتهم الذاتية وقدراتهم الخاصة ومهاراتهم المكتسبة ومؤهلاتهم العلمية ومن خلال هذا العمل يشبعون احتياجاتهم الضرورية أولا وينتهون إلى تحقيق ذواتهم أخيرا، وإثر هذا يقول: سلامة موسى «طعن في المجتمع تحترف حرفة ما ترتزق بها، أي تأكل منها القصّة ليعيش، وهذه الحرفة تضطرنا إلى أن تحسن مهارة معينة، وإلى أن تنتج شيئًا يحتاج إليه المجتمع».

[1]- ينظر: حسين عيد، مادى يوسف إدريس، الصراع والمواجهة، ص 95.

[2]- المرجع نفسه، ص 98.

ولكن في المجتمع النامي تتقلب الصّورة خاصة للفقراء من أبنائه وبناته الذين لا يمتلكون الإمكانيات اللاّزمة للعمل وإضافة إلى ندرة فرصة، وينحدر الأمر بهؤلاء عبر الأعمال البدوية، لينتهون إلى أعمال الخدمة الّتي لا تحتاج إلى أي مهارات خاصة، وإن كانت ممارستها حتمية لهم، حتى يجدون من خلالها ما يسدو رمقهم.

- الأنثى الّتي لا تعمل:

المرأة غير المتعلمة والّتي لا تعمل غالبا ما تكون ضحية لظروف معينة، فالأنثى لم تنل حفظها من التّعليم ولم تعمل، قد لا تحترم مشاعرها، أو قد تسقط لكن سقوطها أن يكون عن اِختيار واِقتناع، بل يكون تحت ظروف قاهرة.

ومن هنا يمكن القول أن الأدباء فقد اهتموا اِهتمامًا كبيرًا بالجمال المعنوي لدى المرأة وتجلى هذا الاهتمام في حديثهم عن عفة المرأة وحياتها، وعن صفة التقلب والتلون ولخلاف المواعيد الّتي تدلّ على عفتها وحرصها على سمعتها[1].

أمّا الجسدية فقد تجسدت في اِمتلاء أردافها ونعومة خديها، كما تحدث الشعراء عن بعض الصفات الجمالية الجسدية للمرأة ومنها الوجه، ولون البشرة والعنق والعين والأسنان والقدم وغيرها.

أمّا فيما يتعلق بالوجه فاستحسنوا أن يكون صافي اللّون ناعمًا جميلاً نقيًا، كما أحبوا أن يكون لامعًا مشرقًا مستديرًا. أمّا بالنسبة للبشرة فأحبوا أن تكون بيضاء ناعمة والعنق كذلك يكون طويلاً وجميلاً.

[1]- ينظر: منذر ديب، كفافي كفافي، صورة المرأة في شعر الصعاليك والنصوص حتى نهاية العصر الأموي، ص 30.

الفصل الثاني

صورة المرأة في رواية "الأسود يليق بكِ"

لأحلام مستغانمي

1- المرأة في ثلاثية أحلام مستغانمي:

اِحتلت المرأة في كتابات "أحلام مستغانمي" مساحة واسعة، فهي الأم والأخت، وهي الزوجة والحبيبة، كما مثلت في روايتها عضوا فاعلا في المجتمع. وعالجت موضوعها دون لف أو دوران، حيث كتبت عنها وعن جسدها وآهاتها من حيث هي إنسان له دوره الكامل كجسد وعقل ومشاعر، وفي هذه الحالة لم يكن هدف "أحلام" تصوير المرأة تصويرًا حسيًا مجردًا فحسب، بل اِتخذتها رمزًا لشيء أخر، كأن ترمز بها إلى المدينة أو إلى الوطن أو إلى الثورة، وقد كانت بداية التحدي مع ثلاثيتها الشهيرة "ذاكرة الجسد" و"فوضى الحواس"، "عابر سرير" عندما تطرقت إلى جملة من القضايا الإجتماعية والسياسية والثقافية الّتي تخص المرأة مستخدمة بذلك أسلوب الخطاب لأنّ البطل فيها يخاطب البطلة "حياة" هذه الفتاة الجزائرية الّتي تحيل بها "أحلام" المدينة تارة وإلى الثورة تارة أخرى.

"حياة" هي طالبة جزائرية، وكاتبة تعشق الشّعر والرّسم، هي إبنة "سي الطاهر" أحد القادة المخلصين للثورة، لها اِسم مفرد كاِسم هذا الوطن "الجزائر" وضعتها الكاتبة بجملة من الصفات الجسدية يمكن أن نذكر منها:

- جبهة عالية.
- حاجبين سميكين.
- اِبتسامة غامضة.
- عينان واسعتان ذات لون عسلي متقلب.

إضافة إلى سمات معنوية منها: المثالية، وسعة الثقافة.

هي إمرأة تحترف العشق بنفس درجة اِحترافها للحرائق، فهي روائية بارعة في الكتابة، بقول البطل "خالد بن طوبال" عن ذكائها وجدارتها «أكنت لحظتها تتنبئين بنهايتي القريبة، وتواسينني مسبقا على فجيعتي... أم كنت تتلاعبين بالكلمات كعادتك، وتتفرجين على وقعها

عليّ، وتسعدين سرًا بإندهاشي الدائم أمامك، وإنبهاري بقدرتك المذهلة في خلق لغة على قياس تناقضك، كل الإحتمالات كانت ممكنة...»[1].

توحي الرّوايات الثلاثة بقدرة المرأة على تغيير الرّجل والتلاعب بمشاعره وعواطفه كما تشاء، لذا يعاتبها السّارد، فيقول: «أنّ الرّجل الّذي حوّلك من اِمرأة إلى مدينة وحولته من أحجار كريمة إلى حصى لا تتطاولي على حطامي كثيرًا»[2].

كما وصفت "حياة" أيضا بالسادية، وكأنها إحدى هواياتها، إذ تتسلى بتعذيب محبيها فمثل هذه الأوصاف تجعل من البطلة رمزًا للحياة بكلّ تقلباتها، مرّها وحلوّها «ما كانت حياة... إنها الحياة»[3].

إنّ التّعامل في روايات "أحلام مستغانمي" يرى بأنّ للمرأة وجود مهم في الحياة، فهي تصف المجتمع، وهي ركيزته، ويتجلى ذلك من خلال قول "خالد" للبطلة: «حياة أجلي موتي قليلا، ولكن أجيني وكأنني سأموت، لقد وقعت على اِكتشاف عشقي مخيف».

ثمّ يقول: «معك ... أوجدت فلسفة أجمل، أن أعمل لدنياي كأنني سأراك غدًا، وأعمل لآخرتي وكأننا سنموت معًا! ولذا أستعد كل يوم للقائك هنا... أو هناك بالتألق والشوق نفسه»[4].

شبهت "أحلام مستغانمي" المرأة بالصّورة فهي تقول: «أو بصبر مصور ينتظر ساعات ليصطاد صورة، فالصّورة كما المرأة لا تمنح نفسها إلاّ لعاشق جاهز أن يبذر في اِنتظارها ما شاءت من العمر»[5].

قدمت "أحلام" بطلتها في أشكال مختلفة، فصوّرتها في أحسن صورة ومنحتها أرقى المنازل ولازمتها قمة الأخلاق، ولكننا لا نعرف شيئا عن حياتها اليومية فقط هي صورة للمرأة

---

[1]– أحلام مستغانمي ذاكرة الجسد، دار الأدب للنشر والتّوزيع، بيروت، ط26، 2010، ص 19.

[2]– المصدر نفسه، ص 281.

[3]– أحلام مستغانمي، عابر سرير، دار الأدب، بيروت، ط9، 2010، ص 316.

[4]– أحلام مستغانمي، فوضى الحواس، منشورات ANEP، الجزائر، دط، 2007، ص 326– 327.

[5]– أحلام مستغانمي، عابر سرير، ص 188.

المثال، يقول صبري حافظ: «إنّ المرأة الّتي يعشقها البطل "خالد" أقرب إلى النّموذج المثالي المجرد والمصاغ من أفكاره وتاريخه منه إلى النموذج المعيش الّذي تقدمه الرّاوية للمرأة عبر شخصية حياة».

لقد نجحت الرّوائية إلى حد كبير في أن تكون هذا الكاتب الّذي يعبّر عن بعض قضايا المرأة والوطن والإنسان، فهي تكتب دائمًا لتدافع عن المرأة وتستعيد لها مكانتها المهمشة في الوطن العربي عامة وفي الوطن الجزائري خاصة، لذلك تقول: «نحن نكتب لنستعيدها أضعناه وما سرق خلسة منا»[1]، وتقول أيضا: «نحن نكتب الرّوايات لنقتل الأشخاص الّذين أصبح وجودهم عبئًا علينا... نحن نكتب لننتهي منهم»[2].

إضافة إلى هذا فهي تؤكد أنّ المرأة تستطيع أن تحقّق هذا الإبداع ما حققه الرّجل وزيادة تقول: «خالد مثلا: لو لم أقتله في رواية لقتلني، ما قست عليه رجالاً إلا وازدادت فجيعتي، كان لابد أن يموت، جماله يفضح بشاعة الآخرين ويشوش حياتي العاطفية»[3].

اِرتقت "أحلام مستغانمي" بالمرأة إلى أن جعلت منها مدينة ووطنا، فالبطالة الرّوائية "حياة" هي الشّخصية النسائية في الرّوايات الثلاثة، وهي أن بدت صورتها شاحبة كاِمرأة في الجزء الأوّل، فإنها في الجزء الثاني والثالث تتبلور كرمز للجزائر، «تلك الأم الطاغية الّتي تتربص بأولادها، والّتي أقسمت أن تعيدها إليها ولو جنة، وقع حكمك على أيتها الصخرة... أيتها الأم الصخرة»[4].

هنا يتحوّل رمز المرأة إلى المدينة بِاعتبار "حياة" جزء لا يتجزأ من هذه المدينة تحمل ملامحها وصفاتها بل تعتبر اِمتدادًا لهذا المكان تحمل حفرياته، وتعتمد "أحلام مستغانمي"

[1]- أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص 105.

[2]- المصدر نفسه، ص 123.

[3]- أحلام مستغانمي، عابر سرير، ص 188.

[4]- المصدر نفسه، ص 216.

في إبراز تلك الجزيئات على مقدرتها البالغة في تمثيل أوجه المدينة وظواهرها المادية المختلفة.

إضافة إلى هذا فقد خاطب الأبطال كلهم في الثلاثية "حياة" على أنّها فعلا مدينة، تقول الرّوائية عنها: «هي المرأة الّتي ولد حبها متداخلاً مع الوطن، متزامنًا مع فجائعه، حتى لكأنها يوما سوى الجزائر»[1].

هكذا وقد تماهت الحبيبة في شخصيات أخرى أيضا هي رموز للمدينة، إذ يرى فيها الوطن والأم والقائد وها هو "خالد" يتأملها ويقول: «فما أجمل أن يعود الشهداء هكذا في طلتك، ما أجمل أن تعود أمي في سوار بمعصمك ويعود الوطن اليوم في مقدمك»[2].

وفي الرّواية الأخيرة "عابر سارير" يتحدث السّارد عن قدرة المرأة وتفوقها داخل النصّ الرّوائي أكثر من ذكائها خارجه، ويصلح هذا الموقف في أن يبطل التصوّر الزاعم بقصور المرأة، حيث يقرنها بوظيفة واحدة هي حفظ النسل والإِستجابة لرغبات الزوج، دون أن يكون لها في كلّ ذلك مجال لممارسة الأدب والتفوّق فيه[3].

لقد اِستطاعت المرأة أن تثبت وجودها داخل الأدب أكثر مما هو في الحياة، بحيث نقضت كلّ الآراء المقامة ضدها منذ خوضها غمار الإبداع واِستطاعت أن تصنع من ذاتها ناقدة لأعمالها[4]. فالمرأة إذا قدرة على التعبير أكثر من الرّجل، فهي تملك خيالاً أوسع من خياله، وقدرة كاملة على مناقشته في الإبداع.

2- قضايا المرأة في رواية "الأسود يلق بكِ":

تشكل المرأة العربية دعامة أساسية داخل المجتمعات، الأمر الّذي شغل اِهتمام الكثير من الكتاب والروائيين، مما يدفعنا إلى البحث عن قضايا هامة تخص المرأة، كالتّعليم والعمل

[1]- أحلام مستغانمي، عابر سرير، ص 287.

[2]- أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص 67.

[3]- .....

[4]- .....

والإبداع، هذا ما سنجده في رواية "الأسود يليق بك" لأحلام مستغانمي مع بطلتها "هالة الوافي" الّتي نالت حظا وافرًا وشغلت حيزًا أكبر في هذا المجال.

تحب هالة "الوافي" التّعليم وتعشقه، ولعلّ هذا ما جعلها تكون مدرسة نشيطة ذكية ومتخلفة، كانت تحب عملها وتواظب عليه رغم خطورة الإرهابيين وعنفهم ضد الشعب، حيث كانوا يقطفون رؤوس كلّ من يحمل بيده محفظة، معلما كان أو متعلمًا، تقول الكاتبة: «خطر الثراء نكتة بالنّسبة إلى فتاة كانت تخاطر بحياتها أيام الإرهابيين كي تحفظ على دخلها الزهيد من التّدريس»[1]. كما يبدو من خلال الرّاوية أنّها كانت معلّمة محبوبة في مدرستها لما زرعته من قيم في أفواج التّلاميذ لمدة خمس سنوات، ونفهم ذلك من خلال ما قالته لنجلاء عن مدى اِرتباطها بالتّعليم وحبها له لتثبت لها في النّهاية بأنّ ضوء التّعليم أسطع من ضوء الشهرة لأنّه صادق وطبيعي، تقول نجلاء: «هذه مهنة تطاردك كلعنة حيث عندما تتخلّصين من الطباشير واللّوح وتصحيح الاِمتحانات، تطاردك بالقيم الّتي حاولت أن تزرعيها على مدى خمس سنوات في أفواج التّلاميذ، كما تزرع أشجار لإيقاف التصحر، شيء يذكرك أنك كنت يومًا قدوة لهؤلاء الصغار، هالة المعلمة لا تفارقك، ضوءها أقوى من نجومية الشهرة لأنّه ليس اِصطناعي، إنه داخلي»[2]. ثمّ إنّها كانت تحب تلاميذها لأنها كانت تزورهم إذ تغيبوا لتطمئن عليهم وعلى أهاليهم، ولأنّ المرأة عمومًا مهمشة في المجتمعات العربية ومهضومة الحقوق.

فصلت "هالة" من التّعليم بسبب غنائها الّذي لم تؤد منه سوى أغنيتين، واحدة في تأبينية والدها والأخرى في برنامج تلفزيوني «ذات صباح، طلبها المدير ليخبرها أنّه مفصولة من العمل، الذريعة أنّ الأهالي لا يريدون أن تدرس مطربة أبناءهم ذريعة تشك كثيرًا في

[1]– أحلام مستغانمي، الأسود يليق بكِ، ص 270.

[2]– المصدر نفسه، ص 115.

صديقتها، فما كانت مطربة حفلات ولا أعراس»[1]، هذا ما جعل والدتها تأخذ بيدها وتغادر إلى الشام، أين اِستعادت "هالة" مجدها وحققت كلّ ما كانت ترغب فيه.

بعدما تعرفت "هالة" على هذا الرّجل اللبناني الثري أصبحت تحتقر راتبها الشهري الّذي كانت تتقاضاه أيام تدريسها، بعد أن كانت تحبه وتواظب من أجله لأنه أصبح في نظرها لا يعادل جزءًا مما يتصدق به "طلال" على الفقراء والمحتاجين، وكأن الكاتبة هنا تحتج للمعلّمين والمعلّمات بأنّهم رغم تعبهم وسعيهم إلى تلقين أكثر مما يمكن من المعلومات للأجيال، وحرصهم على تربيتهم، إلاّ أنّهم يتقاضون رواتب قليلة تقول الرّوائية: «في خصم أفكارها نسيت جريمة الورقة النّقدية الّتي تركها فوق الحساب المدفوع ببطاقة مصرفية، ورقة تعادل تمامًا نصف دخلها الشهري كمدّرسة، كي لا تجن أو تموت قهرًا، قررت أن تكف عن اِعتبار دخلها مقياسا لنفقاته»[2]، إذا كانت دائمًا تحيا حياة بسيطة ومتواضعة حسب ما تملكه من مبالغ مالية، ويتجلى ذلك من خلال رفضها شراء فستان تتجاوز قيمته المبلغ الّذي كانت تجنيه أيام التّعليم «تأبى أن تتفق على شراء ثوب، مبلغا يتجاوز ما كانت تتقضاه في شهر يوم كانت مدرّسة، مازال مبلغ 170 دولار يشكل بالنسبة إليها حاجزًا نفسيا عليها أن تتخطاه»[3].

لعلّ أوّل مكان غنت فيه "هالة الوافي" هو باريس، حيث اِستقطبت آنذاك جمهورًا غفيرًا، لذا وضعتها "أحلام مستغانمي" بأنّها العصفورة الّتي كسرت بصوتها قضبان التقاليد العربية متحدية من قصوّ جناحيها، وهذا ما يدل على أنّها فنانة متألقة، ومشتهرة في الساحة العربية.

إضافة إلى تعلّم "هالة الوافي" وعملها في سلك التّعليم ثمّ الغناء فإنّها تربت أيضًا على الناي، وها هي اليوم تعزم على تعلّم العود لأنّه في الحقيقة هو ما بقي لها من والدها

[1]- أحلام مستغانمي، الأسود يليق بكِ، ص 80.

[2]- المصدر نفسه، ص 168.

[3]- المصدر نفسه، ص 55.

اِحتفظت به يوم اِغتاله الإرهاب، كما أنّها تميل إلى تعلّم الكمنجة والبيانو، تقول "أحلام مستغانمي" عن لسانها: «يعنيني العود لقيمته العاطفية، في الواقع أنا اِبنة الناي، إنه الأقرب لوجداني، لكن اِحساسي بالموسيقى تغير، بدأت أميل إلى الكمنجة والبيانو»[1].

3- صورة المرأة في رواية "الأسود يليق بكِ":

قبل الخوض في هذه المرحلة، يمكن أن نقدم مفهومًا مختصرًا للصورة باِعتبارها عنصرًا بارزًا ومهمًا في النصوص الأدبية، لهذا تشبعت الآراء والأفكار حول مفهومها.

"فعبد القاهر الجرجاني": يعرضها بقوله: «وأعلم أن قولنا الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما تعلمه بعقولنا على الّذي نراه بأنصارنا، فلما رأينا البنيوية بين أحاد الأجناس تكون من جهة الصورة، فكان تبين إنسان من إنسان وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذلك»[2]، أي أنّ الصورة تطابق ما في أذهاننا على ما نراه في أبصارنا.

«والصّورة هي تشكيل لغوي يكونها الفنان من معطيات متنوعة، فأغلب الصور مستمدة من الحواس إلى جانب من ما لا يمكن إغفاله من الصور النّفسية والعقلية»[3]، فالصّورة هي ما ترسمه مخيلة الأديب، باِستخدام اللّفظ، كما ترسمه ريشة الفنان وتكون متأثرة بالحالة النّفسية، إما مبتهجة أو كئيبة.

ومن بين الصّور الّتي تطرقت إليها "أحلام مستغانمي" في رواية "الأسود يليق بكِ" الصّورة الجسمية، الصّورة الإجتماعية، وكذا الصّورة النّفسية الّتي سندرسها كالآتي:

---

[1]- أحلام مستغانمي، الأسود يليق بكِ، ص 189.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، دط، 2000، ص 508.

[3]- جمال حسين يوسف، صورة النار في الشّعر المعاصر، مصادرها، دلالتها، ملامحها الفنية، دار العلم والإيمان، مصر، ط1، 2009، ص 29.

1/ الصّورة الجسمية:

إنّ الصّورة الجسمية أو الفيزيولوجية تعدّ مكونًا أساسيًا من المكونات الّتي ترتكز عليها الشخصية إلى العد الّذي يمكن تفسير بعض الشّخصيات ظاهريا بنياتها الجسمي، ويمكن النّظر إلى المكون الجسمي من خلال النمو الجسمي، العام الطبيعي والصّحة العامة وبعض الخصائص الجسمية.

- الصّورة الجسمية "لهالة الوافي":

صورت "أحلام مستغانمي" هالة بأنّها فتاة جميلة وأنيقة نوعا ما، مركزة في هذا التصوير على وجهة نظر الرّاوي ووجهات نظر مختلفة للشخصيات داخل الرّواية «فهي ليست جميلة حد فقدان رجل مثله صوابه، دوما هي أنيقة أناقة يمكن أن تنازل بها النّساء من حولها، لعلها ما كانت لتستوقف نظره لو صادفها، لكّن كلماته صادقة أتته وأوقعته في فتنة أنوثة ما خبر من قبل بهاء عفواتها»[1]، وتوحي هذه العبارات بنسبية لجمالها الجسمي وبهوته معا بحيث لا يتجسد المثل الأعلى للأنوثة، ولا تعانق من الحرمان من الأنوثة والجمال، بل هي مكانة وسطى، ترتفع أحيانا إلى مستوى اِستقطاب الأنظار في بعض الأوساط، وتنخفض إلى مستوى أقل من ذلك في أوساط أخرى، وهي بالتّالي تمثل الصورة النمطية للأنوثة العادية[2]. فلعل ملا لفت اِنتباه "طلال هاشم" وهو لهجتها الغريبة وجاء يتقنها في آن واحد، لذا راح يتابع برنامجها لأوّل مرة وتنسى ما يشغله من أعمال.

كانت بالنّسبة له جميلة وفاتنة أشهر بطلتها كلّ من يراها، يقول: «في جمالها البكر تكمن فتنتها، لم تكن تشبه أحدا في زمن ما عدت فيه النّجوم تتكوّن في أسماء، بل في عبادات التّجميل، لم تكن نجمة، كانت كأننا ضوينا، ليست في حاجة إلى التبرج كي تكون أنثى يكفي أن تتكلّم» «لا تدري أترعاها كنبتة نادرة، أم تسطو على جمالها قبل أن يسبقك

[1]- أحلام مستغانمي، الأسود يليق بك، ص 43.

[2]- محمد سياعي، صورة المرأة في روايات حسان عبد القدوس، ص 143.

إليه غيرك». «تنفتح كوردة مالية، وقبل أن تعد يدك لقطف سرها، تخفي بنصف حراستهم وتغدو اِمرأة في كلّ إغرائها اِمرأة لا تهاب الموت، لكنها تخاف الحياة في أضوائها الكاشفة»[1].

كان الأسود محرمها، فهي لم ترتد يوما سواد، «لم تظهري يومًا إلا بثوبك الأسود إلى متى سترتدين الحداد»[2]، كما كان شعرها يبدو أسودا.

اِطمئني ليست لعبة الشطرنج حرامًا... إنّها محرمة على الأغبياء فحسب[3]، لكّنها في الحقيقة لا تجيد لعبها لأنّها لم تجربها يوما، وهي تظن بأنّها لعبة للرجال فقط.

كانت "هالة" تنفق كلّ مبالغها الّتي تحصلها من الحفلات والمهرجانات في اِشتراء الملابس الثمينة واِقامة الرحالات، والمكالمات الهاتفية من أجل "طلال هاشم" بحكمة ثريا إذا اِشترت لعبة الشطرنج الّتي كانت أغلى ما اِشترته في حياتها من هدايا من أجل تكسبه وأن تثبت له بأنّه إذا كان هو الأكثر ثراء فهي الأكثر سخاء، تقول: «هذا الرجل لن أكسبه إلاّ بالخسارة»[4]، ومثال ذلك الشقة الّتي استأجرتها مقتطعة مبلغا ماليا لدفع إيجارها من أجل رد كرامتها خاصة عندما رآها في تلك الغرفة الضيقة البائسة في أحد فنادق باريس.

زاد من اِفتخارها كجزائرية كلام ذلك الرجل الّذي إلتفت به في مطار فيينا عندما قال لها «يعطيك الصّحة الفحلة تاعنا»[5]، وكأنه يمنحها بالفحولة وأنّها أخت رجال خاصة وأنّها شاوية، والشاوية معرفون بالشهامة والرجولة.

قهرها "طلال هاشم" وألغى وجودها من حياته عندما قال لها بعد حوار دام بينهما طويلا: «أنت أم ابني الّذي لن يأتي»[6]، لقد بيّن لها من تلك السهرة ما يكفي لكي تدرك بأنه

---

[1]- أحلام مستغانمي، الأسود يليق بكِ، ص 15.

[2]- المصدر نفسه، ص 15.

[3]- المصدر نفسه، ص 274.

[4]- المصدر نفسه، ص 281.

[5]- المصدر نفسه، ص 300.

[6]- المصدر نفسه، ص 276.

لن يكون يوما لها، أمّا علاقتهما فقد اِنتهت بسبب إهانتها بماله خاصة عندما عرض عليها مبلغا ماليا في فيينا لتشتري به هدايا لأمها، فرفضت ذلك وبيّنت له أنّها لن تحتاج إلى ماله أبدا مما أثار غاضبه ورمي بذلك الأوراق النّقدية فتطايرت وملأت الغرفة، وراح يطلق عليها كلمات كالرّصاص دون أن ترد عليه ودون أن تنزل دمعة من عينيها، تقول الكاتبة.

كانت "هالة" لا تعرف اللهجة الشوية رغم أنّها كانت تقيم في مروانة، والدّليل على ذلك أدت أغاني كثيرة بهذه اللّهجة، نجدو والدها و"عيسى الجرموني" لكنها لا نعرف شيئا مما تقوله.

استضيفت "هالة" في إحدى البرامج التلفزيونية في عيد العشاق، وكانت في ذلك الوقت ترتدي آنذاك ثوبا أسود مع عقد طويل بصفين من اللؤلؤ وكانت تبدو فيها أبهى وأجمل، إلاّ أنّها لم تكن طويلة كما كانت تبدو على التّلفزيون، ولكنها بالنّسبة له أبهى بالكثير مما رآها في الشاشة.

وأوّل ما رآها "طلال هاشم" في الطائرة أثناء زيارتهما لباريس كانت تلبس معطفًا أسودا أنيقًا دون بهجة أو احترام مربوط على جنب يزينها شعرها المستدل على كتفيها، كما أنّها اِمرأة مثقفة وقليلة الأكل، وقد أدرك "طلال" ذلك عندما رآها تطالع الصحف، ولا تأكل إلاّ القليل مما يقدم إليها، إضافة إلاّ أنّها نجمة متبرجة، وكثيرة الاهتمام بنفسها، لأنّها في رحلتها هذه وقبل أن تحط الطائرة بدقائق ذهبت إلى الحمام لتفتقد زينتها ولن تعود إليه إلاّ بالشرافة واضحة، تقول الكاتبة: «قبل الوصول بقليل وقفت "النجمة" وأخذت من حقيقتها محفظة صغيرة وقصدت الحمام، حتما ذهبت لتفتقد زينتها، فقد عادت بإشراقة واضحة جددت حصرتها وسرحت شعرها على جنب»[1].

اِرتدت "هالة الوافي" في حفلها الأوّل بباريس كعب عالي، وفستان أسود طويل مع شعر مبعثر على كتفيها، وهي جالسة إلى جانب أين عملها "جمال" الّذي كان يختلف تمام

[1]– أحلام مستغانمي، الأسود يليق بكِ، ص 58.

على والده، لأنّه شاب عصري، أنيق ومتفتح، أما سبب اِرتدائها الأسود بإستمرار فربما يعود إلى مقتل محرميها، تقول الكاتبة على لسانها: «الأسود محرميها من لم يبق لي الموت محرما الّذي انسب إليه، أشعر أنّه يحميني ويميزني عن غيري من المطربات، ثمّ أنا بطبعي أحب الأسود منذ أيام التّعليم أتذكرني»[1].

تعتبر "هالة" من أبلغ النّساء وأفصحهنّ، لذا يقول لها "طلال": «من أين لك هذه اللّغة»[2]، فلعل كلامها هو سر شغف النّاس بها، أينما حلّت وليس عناءها فلو رآها "طلال" لأوّل مرة وهي تغني لربما غيّر القناة، لكن ما أسره ولفت اِنتباهه هو هذا العفوان الّذي تتحدّث فيه.

عندما عاتبها "هالة الوافي" لأوّل مرة في القاهرة شبهتها الرّوائية بطلتها "بالبجعة السوداء" داخل ثوب أسود من المرسلين كأنّها "ماريا كالأمن بشعر أسود مرفوع إلى الأعلى، ويبدو من خلال الرّواية أنّ "هالة" فعلا تعشق الأسود وكأنّه لونها الخاص، ودليلنا على ذلك أنّ النادل في القاهرة عندما أحضر لها عربية من الحلويات أن تختار منها سوى قطعة كانو من الشكولا، أين قال لها "طلال" «حتى في الحلويات لا تخلعين الحداد»[3].

كما أنّها سكينة، فإذا تحدثت أوجزت وتبين لنا في ذلك من خلال قول الكاتبة عنها بأنّها كانت أيام دراستها تخبئ صوتها في محفظتها المدرسية ولا تخرجه إلى في الصف. ولما تنتهي حصصها التّعليمية تعده مجددًا إلى محفظتها. كما أنّها تملك كل صحتها وعافيتها، شبابها ومواهبها.

وفي ذلك الحفل العالمي الّذي غنت فيه هالة مع كبار المطربين خلعت الأسود الّذي لا يليق بها وارتدت اللّون الزاهي الّتي كانت تريد فيه قهر "طلال" «أرادت أن تثار لكرمتها

[1]- أحلام مستغانمي، الأسود يلق بكِ، ص 115.

[2]- المصدر نفسه، ص 125.

[3]- المصدر نفسه، ص ...

لحظة تقع عيناه عليها وهي ثوبها الوردي، لون اختارته أمها لبعد عنها العين، لفرط بها لها ما قالت».

تقول الكاتبة في وصف صوتها: «صوتها ناي يحن إلى مليئة يعود موّالا إلى رتبته، لا يحتاج إلى ميكروفون إليه ينتشر في الهواء، عابر الوديان، ماضيا صوب الأعالي الّتي غنى منها جدلا، لصوتها شجرة عائلة تنحدر من حناجر "أولاد سلطان" صوتها يسلطن طربا يعود إلى قسم الأوراس، حيث وحدها الحبال الصوتية يمكنها تسلق الجبال»[1].

ب- الصورة الجسمية "لنجلاء":[2]

لا تكاد تبدو الصورة الجسدية لهذه الفتاة ولم يرد ما يلقى بعض الضوء على بعدها الجسدي إلى عبارات مبشرة، وأثارت عرضا لهذا البعد دون بيان واقعة «أمها كأنّها تريد أن تزوج علاء بنجلاء، تقول أنهما خلق لبعض حتى في تقارب اسميهما ما شاء الله الإثنين حلوين»[3]. هذا ما جعلنا ندرك بأنّها جميلة.

جـ- الصورة الجسمية "لهدى":

لا تكاد تعثر على ملامح جسدية معينة لعشيقة "طلال" إلاّ العبارات القليلة الّتي تبيّن بأنّها جميلة وشابة: «ها هي ذي اليوم منفتحة، كزهرة مالية، نضرة مشعة، أنيقة متبرجة بحياء لكنّها لا تستحي من الرّجل الّذي أحبها حتى الموت، فهو ما عاد هنا ليشاهدها»، فبمجرد أن طلت عليهم في نشرة أخبار الجزيرة أدركوا أنّها عادت إلى حياتها الطّبيعية، بشكلها الأنيق كعادته بعد أن زارتهم في عزاء عملاء، وهي مكسورة الخاطر، منهارة شاحبة وباكية، كانت آنذاك كأنّنا في دموع وكانت من الواضح أنّها ستموت عليه قهرًا[4].

---

[1]- أحلام مستغانمي، الأسود يليق بكِ، ص 328.

[2]- المصدر نفسه، ص 328- 329.

[3]- المصدر نفسه، ص 68.

[4]- المصدر نفسه، ص 232.

د- الصورة الجسمية "لأمّ هالة":

إنّ الحديث عن الأم حديث عن الأصل عن الطفولة الّتي يعود الرّوائيون إليها كثيرًا في أعمالهم وهو حديث عن صاحب الفصل في وجود الشخص وتربيته[1]. إلاّ أنّ في هذه الرّواية نجد بأنّ "أحلام مستغانمي" قد أهملت الصورة الجسدية "لهند" ذلك لأنّها تعتقدها في مخيلتها كما نعتقدها نحن، مع العلم أنّها وقفت، وإلى حد بعيد، في تبيان دورها اِنفعال داخل الرّواية، لأنّ جسدها ليس له وظيفة فيه. تقول الكاتبة عنها «ظلت أمهات طمئننا، فلن تنام هي الأخرى وستؤلف في ليلة كلّ سيدني روهات المصائب هكذا هي، ما عادت تتوقع خيرا من الحياة أحيانا كثيرة ينتابنا الإحساس أنّها عدت والدة أمها، لقد هدم الألم تلك المرأة الّتي كانت في السياق قوية إلى درجة اِتخاذ القرار بمغادرة حلب قبل ثلاثين سنة، والإقامة مع زوجها في بلاد لا تعرف عنها شيئا، والتأقلم مع ظروف ما كانت تشبه حياتها في سورية»[2].

توسدتها إلاّ وطارت أحلامها نحره وهمها من كنوز الذكريات ما لم تعلمه الأميرات ولا ملايين النّساء الثلاثي جان العالم وسيغادرنه من دون أن يحتقرون ما بقدرة رجل عاشق أن يفعل[3].

استضيفت مرة في برنامج تلفزيوني كان أعد لعيد الحب، هذا العيد الّذي أن تعرفه إلاّ بعدما أن أقيمت في الشام الضجيج أنّ هذا العبد كان موجودا في أغاني والدها إلاّ في بيته مسموحا به للغرباء لأهله، لذا لن تؤمن به أبدًا ولا بذلك القلوب المراد المحشوة بالقطن والّتي تقول "I love you"، بعد اِنتهاء برنامج منحها المقدم باقة من أزهار التوليب ذات اللّون البنفسجي المائل إلى السواد مرفقة ببطاقة لم تكتب عليها سوى ثلاث كلمات "الأسود يليق بكِ"، ومن ذلك اللحظة اِنطلقت قصة حبها مع "طلال هاشم" تقول الكاتبة «فتحت بلهفة الفضول الظرف الصغير المرفق بها، لم يكن على البطاقة سوى ثلاث كلمات "الأسود يليق

[1]- مفقودة صالح، في الرّواية الجزائرية، ص 279.

[2]- أحلام مستغانمي، الأسود يليق بكِ، ص 67.

[3]- المصدر نفسه، ص 14.

بكِ"»، جمدت مكانها مذهولة، كان في الجوّ شيء شبيه، بإعلان حب، كشعار بإقتراب زوبعة عشقية»[1].

يبدوا أنّ "هالة" لم تسافر كثيرا، لذا عندما سافرت إلى باريس لأوّل مرة لم تعرف طريقة إشتغال سماعات الموسيقى، ولا طريقة تغيير الشاشة المقابلة لها.

"هالة" فتاة أوراسية" ومن الأوراس إنطلقت شرارة التّحرير وعندما بلغت سن السابعة عشرة توفي جدها "أحمد" الّذي كان بسيطا حكيما وزاهدا في بهارج الحياة يحظر ويبدأ في الغناء، لذا يمكننا القول بأنّ "هالة" تعلّمت الغناء من جدها ومن والدها لذا إستطاعت أن تفرض وجودها وبقوة في الساحة الفنية العربية، لم تكن "هالة" غنية ولا فقيرة، بل كانت تحيا طيبة، متوسطة ومتواضعة تقول أحلام «لو قالت أنّها لم تره، لكان عليها أن تحكى نصف ساعة لتشرح ما حدث، وهي تتحدث على هاتف الفندق وسعر المكالمة مضاعف»[2]. تقول أيضا «ويقع نظره على لوازم زينتها، أصابع الحمرة ذات الماركات العادية عليه بالبودرة الّتي أشرفت على نهايتها، وما زالت تحافظ بها، كريمات وأقلام كحل سيفضح بها تواضع جيبها»[3].

قطفت "نجلاء" مازحة وهي تراها تجرب ما في حوزتها من بطاقات، من تلك الّتي تمكنك من الحديث إلى الخارج بسعر منخفض[4].

لها صديق في الشام اسمه "فراس"، كان يمتلك كلّ صفات الرجولة الّتي تحبها، كما وجدت فيه تعاطفا في مأساتها، يقول «يمكنني إن شئت أن أساعدك، لكن ذلك يحتاج أن نلتقي مرتين في الأسبوع، أنت في حاجة من الإصرار والمثابرة، فليس العزف أمرًا سهلاً

[1]- أحلام مستغانمي، الأسود يليق بكِ، ص 38.

[2]- المصدر نفسه، ص 228.

[3]- المصدر نفسه، ص 277.

[4]- المصدر نفسه، ص 204.

إن لم يباشر على صفر، لكن إن كنت جادة فستنجحين، لأنّ علاقتك العاطفية بهذا العود ستجعل منه آلة سحرية في يديك... إنّها آلة تشبهك»[1].

أصبحت كثير التّرحال والتنقل من بلد إلى آخر، عربي كان أم أجنبي، وذلك بسبب غنائها وشهرتها، فنجدها تارة تغني في الشام مكان إقامته وتارة في مصر، وأخرى في لبنان وفرنسا ودبي وغيرها، تقول أنّ الرّوائية على لسانها: «أمامي عروض كثيرة الصيف على الأبواب... إنّها مواسم المهرجانات»[2].

بعدما تعرفت "هالة" على "طلال" أصبحت تعطي لنفسها مكانة أكثر مما كانت عليه لأنه ثري ثم إنها لا تريد أن يأخذ عنها نظرة اِحتقار لذلك صارت تشتري ملابس من أحسن الماركات، وتحاول دائما أن تقيم في أرض الأماكن: «لذا اِختارت أن تقيم في شقة من أفخم أحياء بيروت.

أبراج فاخرة من الرملة البيضاء تطل على البحر، سكانها غرباء، وغنى من أن يتواجدوا دوما في بيوتهم»[3]. كما أنّها تبدو غيورة من النّساء، لأنّها ترفض أن تشتري لها هدايا من محالات سبق أن زارها من أجل غيرها «أعذرني .... لا أريد أن أكون تكرارا بما عرفت قبلي من نساء، أتعني أن تفعل معي مما سبق أنّ فعلته مع غيري»[4].

تربت هالة على عادات وتقاليد الشاوية خاصة وأنّها من منطقة مروانة الّتي كان أساسها يقيمون "الزردات" والّتي ما زالت تقدم إلى يومنا هذا في بعض الأماكن في المناسبات الإجتماعية في قصعات خشبية، بحيث يمكن لكميات الكسكسي الّتي تحويها أن يأكل منها عشرات الأشخاص، وهذا ما يدلّ على تلاحم وترابط الأمر في تلك المنطقة لكنّها لما تعرفت على هذا الرّجل الثري اِرتقت مكانتها أكثر لأنّه كان يأخذها إلى أرقى الأماكن

[1]- أحلام مستغانمي، الأسود يليق بكِ، ص 155.

[2]- المصدر نفسه، ص 228.

[3]- المصدر نفسه، ص 227.

[4]- المصدر نفسه، ص 237.

وأضخم المطاعم الّتي يقدم فيها الأكل قليلا في صحون أثمن من محتوياتها ولكن أن تنسى يوما أصلها، ومن أين جاءت لذا تقول «أنا إبنة الجبال وأدي أن الفخامة تشوهنا لأنّها تجعلنا غرباء عن أنفسنا»[1].

كانت تحقق كلّ ما تطمح إليه، فهي قوية وناجحة تقول الكاتبة: «فما كان يرضى بها لو كانت اِمرأة فاشلة أو عادية»[2]، كما كانت كريمة لكرم حبها ووالدها، تقول الرّوائية «في جميع الحالات، ما كان يمكن أن تدخل بينه "فاضية اليدين"»[3].

"هالة" فتاة ذكية، وفية ومختلفة، ولكنها سرعان ما تعرفت على "طلال هاشم" انتهكت شرفها وشرف أبيها وأخيها وقبيلة من الرّجال خاصة وأنّها شاوية، هذه القبيلة الّتي أن ترضى يومًا بتدلس شرف العائلة ولا بالتعدي على حرماتها، وذلك لقبولها الإقامة في فنادق مختلفة وفي بيت باريسي يزور رجل لم يكن يوما محرمها.

تعرفت على جزائريين في فيينا اِسمهما "كمال" و"عزالدين" بعد أن اندهشت لحضورهما هناك، وقتها سعدت كثير لأنّها سمعت منهما لهجة جزائرية محببة على قلبها، ويبدوا من كلامهما أنهما هما الأخران سعيدان بلقائها، لأنّهما يفكران في مشروع جديد يمكن أن يهمها يقول كمال: «سعيد أن أصادفك مجددًا... أنّ كمال ساري، اِلتقيتك في المطار... تذكرين، انتظرت هاتفا منك، خلقت أن أفقد الاتصال بك»[4].

لم تشرب "هالة" من النبيذ الّذي كان يحتسيه "جلال" كعادته رغم مجالستها به لأنّها تعرف بأنّ ذلك حرام، لذا يقول لها "جلال" عندما أعرضت من اللّعب بلعبة الشطرنج.

[1]- أحلام مستغانمي، الأسود يليق بكِ، ص 259.

[2]- المصدر نفسه، ص 203.

[3]- المصدر نفسه، ص 205.

[4]- المصدر نفسه، ص 256.

- الصورة الجسمية لزوجة طلال:

تعدّ هذه الشخصية ثانوية لأنّ الكاتبة لن تتحدث عنها إلاّ القليل، ورغم ذلك أدركنا من خلال الرّواية أنّها جميلة إلى حد ما والدّليل على ذلك قول "طلال هاشم" عنها: «زوجتي ما زالت جميلة، وستعاود الزواج من بعدي»[1]، لكّنها كانت تعاني من مرض ما لأنّها اِكتفت بإنجاب بنتين رغم ثروة زوجها التي تعدو لا تحصى، فهي لا تستطيع أن تنجب مرة أخرى يقول "طلال هاشم" لـ "هالة الوافي" عنها عندما أراد طفلاً يحمل اِسمه ويصون شرفه، ويرث ثروته، «ما أريده هو صبي، صبي يحمل اِسمي، ويرث ثروتي يحرس شرفي، لكّنها أمنية مستحيلة، زوجتي لا تستطيع أن ترزق بطفل ثالث، وهذه قسمتي في الحياة»[2].

2/ الصورة الإجتماعية:

أ- الصورة الإجتماعية "لهالة الوافي":

"هالة الوافي" فتاة جزائرية تبلغ من العمر سبعة وعشرين سنة، أما والدتها طبيبة، تسكن هالة في منطقة "مروانة" ولاية باتنة، فهي إذا اِمرأة أوراسية، ضف إلى ذلك أنّها كانت معلمة ووالدها مغني، فسخت خطوبتها من رجل كانت مقبلة على الزواج به اسمه "مصطفى"، كانت تحبه كثيرًا لأنّها مدركة أنّ لا أحد يستطيع أن يسعدها سواه، لكنه تزوج من معلمة بعدما افترقا وطلب نقلهم إلى باتنة.

عندما أغتيل والدها وعلاء أثناء العشرية السوداء، انتقلت مع أمها إلى الشام أين أصبحت مغنية متألقة، وهناك تعرفت على رجل لبناني ثري عاشت معه أجمل أيامها، حيث دامت العلاقة بينهما سنتين، ثم اِفترقا أيضا، تقول الكاتبة: «لقد أفقره بعدها لكنه ليس نادما على ما وهبها خلال سنتين من دوار اللحظات الشاهقة، وجنون المواعيد المبهرة، حلق بها حيث لن تعامل قدمها يومًا، ترك لها إلى آخر أيامها وسادة من رياش للذكريات».

---

[1]- أحلام مستغانمي، الأسود يليق بكِ، ص 270.

[2]- المصدر نفسه، ص 276.

اِطمئني ليست لعبة الشطرنج حرامًا... إنّها محرمة على الأغبياء فحسب[1]، لكّنها في الحقيقة لا تجيد لعبها لأنّها لم تجربها يوما، وهي تظن بأنّها لعبة للرجال فقط.

كانت "هالة" تنفق كلّ مبالغها الّتي تحصلها من الحفلات والمهرجانات في اِشتراء الملابس الثمينة واِقامة الرحالات، والمكالمات الهاتفية من أجل "طلال هاشم" بحكمة ثريا إذا اِشترت لعبة الشطرنج الّتي كانت أغلى ما اِشترته في حياتها من هدايا من أجل تكسبه وأن تثبت له بأنّه إذا كان هو الأكثر ثراء فهي الأكثر سخاء، تقول: «هذا الرجل لن أكسبه إلاّ بالخسارة»[2]، ومثال ذلك الشقة الّتي استأجرتها مقتطعة مبلغا ماليا لدفع إيجارها من أجل رد كرامتها خاصة عندما رآها في تلك الغرفة الضيقة البائسة في أحد فنادق باريس.

زاد من اِفتخارها كجزائرية كلام ذلك الرجل الّذي إلتفت به في مطار فيينا عندما قال لها «يعطيك الصّحة الفحلة تاعنا»[3]، وكأنه يمنحها بالفحولة وأنّها أخت رجال خاصة وأنّها شاوية، والشاوية معرفون بالشهامة والرجولة.

قهرها "طلال هاشم" وألغى وجودها من حياته عندما قال لها بعد حوار دام بينهما طويلا: «أنت أم ابني الّذي لن يأتي»[4]، لقد بيّن لها من تلك السهرة ما يكفي لكي تدرك بأنه لن يكون يوما لها، أمّا علاقتهما فقد اِنتهت بسبب إهانتها بماله خاصة عندما عرض عليها مبلغا ماليا في فيينا لتشتري به هدايا لأمها، فرفضت ذلك وبيّنت له أنّها لن تحتاج إلى ماله أبدا مما أثار غاضبه ورمي بذلك الأوراق النّقدية فتطايرت وملأت الغرفة، وراح يطلق عليها كلمات كالرّصاص دون أن ترد عليه ودون أن تنزل دمعة من عينيها،

[1]- المصدر نفسه، ص 274.

[2]- المصدر نفسه، ص 281.

[3]- المصدر نفسه، ص 300.

[4]- المصدر نفسه، ص 276.

ب- الصورة الاجتماعية "لنجلاء":

"نجلاء" هي فتاة شامية، وهي اِبنة خالة "هالة الوافي" وصديقتها في آن واحد، كانت "هند" ترغب في تزويجها من إبنها "علاء"، فكانت "نجلاء" تحب "هالة" كثيرًا وتخاف عليها، ترافقها أحيانًا إما لشراء أغراضها وإما لمؤسستها، وترفه عنها وتساعدها إذا لزم الأمر، ونفهم ذلك من خلال قول الكاتبة: «وحدها نجلاء شعرت بحزنها، قالت وهي تساعدها على جمع أشيائها، كانت رائعة»[1]، تقول أيضًا: «خاصة وأنّ نجلاء اقترحت مرافقتها»[2].

كانت نجلاء مخطوبة «ومعلوم أنّ الخطوبة مرحلة اِنتقالية نسيق الزواج»[3]. وكان زوجها يعمل في دبي ويتجلى ذلك من خلال قول الرّوائية: «نجلاء أيضا أن تأتي هي مشغولة يخطبها العائد من دبي لقضاء الأعياد»[4]، وقد كانت نجلاء معجبة بتصرفات "طلال" تجاه "هالة" بوصفه عاشقًا متميزًا، خاصة وأنّه يملك سلطة المال، فهي تراه أحسن بكثير من أولئك الّذين تعرفهم في الجزائر تقول: «لا أكان هوائدا ذاك الرجل الّذي هاتفني؟ كم جميل أن ينتحل عاشق صفة ليفاجئ حبيبته»، أتردين عاشقا بائسًا فأولئك الّذين تركتهم في الجزائر، بؤسهم كان ينعكس على ملامح وجهل.

جـ- الصورة الإجتماعية "لهدى":

"هدى" فتاة جزائرية أَحَبّها علاء بجنون قبل أن تتخذ حياته مجرى مأساة اِغريقية واعتقل في الجامعة بسببها لأنّه في الحقيقة كان يقاسمه حبها أحد الملتحقين الإسلاميين اللّذين اعتقلتهم السلطات الأمنية في عهد الرئيس "بوضياف" حتى لا يخلو لهما الجوّ في غيابه، أنهت "هدى" دراستها قبل "علاء" لأنّها متخصصة في مجال الصحافة، أما هو

[1]- أحلام مستغانمي، الأسود يليق بكِ، ص 112.

[2]- المصدر نفسه، ص 104.

[3]- مفقودة صالح، المرأة في الرّواية الجزائرية، ص 109.

[4]- أحلام مستغانمي، الأسود يليق بكِ، ص 132.

فتخصص في الطب، فكان حبها كثيرًا وهي الأخرى تبادله الشعور نفسه، لكن الوضع المزري آنذاك، والاستقرار حكم بالإنفصال بينهما.

اِنتقلت إلى العيش في الجزائر العاصمة لأنّها قد أتبعت لها فرصة تقديم الأخبار في التلفزيون وسرعان ما غادرت إلى هناك حتى غادر هو إلى الجبال فارا من عذاب فراقهما. تقول الكاتبة: «لم يتقبل فكرة اِنتقالها للعيش في الجزائر وكانت هي جاهزة للتنازل عن فرصة قد لا تتكرر في العمل مقدمة أخبار في التلفزيون، ما إن غادرت إلى العاصمة، حتى غادر هو إلى الجبال، ربما أولا يقصصها قصص نفسه بها، وهو يلقي بنفسه هربا من عذاب فراقها»[1].

عملت في هذا المجال في الوقت الّذي كان فيه الإرهابيون يقتلون كل يوم صحافتها ويبدو أنّها لم تكن متزوجة، آنذاك هذا ما فهمه "علاء" عندما إلتقى بأخيها "ندير" تقول الرّوائية: «كان يريد أن يسأله، هل تزوجت أو هل في حياتها أحد؟ لكنه استنتج أنها لم تتزوج به»[2].

كان "ندير" صديق "علاء" أيام الجامعة، يدرس في مجال المعلوماتية وبعدها تخرجه لم يجد ولا وظيفة، مما دفعه إلى الهجرة غير الشرعية أين مات غرقا مع "الحراقة" عندما صدرت موضة "الموت خرقا" وزاد من مأساة أهله أنه مات في شهر رمضان الكريم.

اِرتقت "هدى" فيها بعد لتصبح مقدمة أخبار في قناة الجزيرة، تقول أحلام «لكن الخبر كان.... إنّ هدى من تقدم نشرة الأخبار على قناة الجزيرة»[3].

2- الصورة الإجتماعية "لأم هالة":

"هدى" هي اِمرأة شامية الأصل، تعرّف عليها زوجها عندما سافروا إلى الشّام لتعلم أنّها مسلمة والدّليل على ذلك أنّ اِبنتها اِتصلت بها لطمأنتها على حالها، بعدما أغتيل زوجها

[1]- أحلام مستغانمي، الأسود يليق بكِ، ص 91.

[2]- المصدر نفسه، ص 94.

[3]- أحلام مستغانمي، الأسود يليق بكِ، ص 231.

أدركت بأنّ جارهم هو من قتله، لأنّه رجل عاطل عن العمل، وكان يرى في غناء زوجها عملاً شيطانيًا خاصة وأنّ زوجته لم تذهب إلى العزاء مع أمه مدعية بأنّها حامل، وهذا قد اختفى بعد أيام من قبل زوجها، ليعود بعد عام مع النائيون أميرا، وكلّ هذا لا تستطيع "هند" أن تخبر أحدًا بما توقعته، ربما لأنّها اِمرأة منهكة، كان عليها أن تكبر دفعة واحدة وكأن ثمة مستلزمات قدرية عليها أن تدفعها وهي ترى أن الحادثة تعيد نفسها مع وحدتها.

خاتمـــــة

خاتمة:

بعد هذه الرّحلة العلمية الشاقة والممتعة الّتي اِشتغلنا فيها على رواية "الأسود يليق بكِ" لأحلام مستغانمي، وبعد تسليط الضوء على موضوع المرأة بتقديم صورها المتكاملة من النواحي الجسمية والاجتماعية والنّفسية توصلنا إلى جملة من النتائج أهمها:

1. أنّ الجنس الرّوائي رغم علاقاته وجذوره الممتدة في الأشكال السردية الموروثة تظل نصوصه من أهم الإبداعات الأدبية الّتي لاقت اِهتمامًا كبيرًا من قبل القراء وتراكمت حولها الأبحاث والدّراسات بمختلف المناهج والمنظورات.
2. إنّ الرّواية الجزائرية فن يعالج القضايا السّائدة في المجتمع وفي مقدمتها المرأة بطريقة إبداعية هادفة.
3. للمرأة حضور قوي في الرّواية العربية عامة والجزائرية خاصة، نظرًا للدور الفعال الّذي تقوم به داخل المجتمع.
4. المرأة لا تزال حتى يومنا هذا تعني بعض الاِضطهاد والقهر الاِجتماعي، فهي مهضومة الحقوق كإنسانة رغم حضورها القوي في كافة مجالات الحياة.
5. إنّ المجتمع الجزائري وما مرّ به من أزمات تاريخية "كالعشرية السوداء" كانت المرأة فيه صانعة ومشاركة في الأحداث، حاملة على أكتافها أعباء الوطن الكبرى، كما أنها نالت نصيبها من التدمير والعذاب والقتل.
6. إنّ المرأة بفضل قوتها وذكائها وإخلاصها اِستطاعت أن تثبت وجودها المؤنث وأن تتحدى المجتمع بعاداته وتقاليده الموروثة، ومعتقداته الّتي تهمشها من أجل أن تحقق طموحها وآمالها.
7. إنّ "أحلام مستغانمي" حيز نموذج معاصر للكتابة الرّوائية، فقد اِستطاعت بفضل طاقاتها الفكرية والإبداعية أن تضيف إلى المكتبة العربية ولاسيما الجزائرية عددًا قليلاً

من الرّوايات الممتازة في مستواها الفنّي والتي عبرت من خلالها عن الواقع الجزائري بكلّ جوانبه.

8. إنّ الرّواية تتطلّب لغة طيّعة مرنة قادرة على تصوير المجتمع وما يحيط به من ظروف سياسية وإجتماعية واِقتصادية وتاريخية وهذا ما وجدناه في روايات "أحلام مستغانمي" بحكم لغتها الشاعرية.
9. اِستطاعت "أحلام مستغانمي" في روايتها "الأسود يليق بكِ" أن تسترجع للمرأة مكانتها وذلك بإعطائها دورًا فعالاً يليق بمقامها.

الملاحق

نبذة عن حياة الرّوائية "أحلام مستغانمي":

ولدت الكاتبة الجزائرية "أحلام مستغانمي" في مدينة تونس بتاريخ 13 أفريل 1953م فقد كان والدها أحد المقاومين للإحتلال الفرنسي، ولكنه مطلوبا لدى السلطات الفرنسية للمشاركة في أعمال المقاومة فرّ مع أسرته إلى تونس، حيث عمل بها مدّرسًا للّغة الفرنسية، وقد قدّر أن تولد إبنته الأولى "أحلام" في بيئة مشحونة بالعمل السياسي، وذلك قبل اِندلاع ثورة عام 1954م بسنوات قليلة. وربما كان لميلادها، ومن ثمّ نشأتها خارج وطنها أثّر في الحنين والسّجن المبثوث من سطور رواياتها خاصة الرّواية الأولى ذاكرة الجسد"[1].

إصداراتها:

- الكتابة في لحظة عري سنة 1973.
- على مرفأ الأيام سنة 1972.
- ذاكرة الجسد سنة 1993.
- فوضى الحواس سنة 1997.
- كتاب نسيان كوم سنة 2009.
- قلوبهم معنا وقابلهم علينا سنة 2007.

[1]- رئيسة موسى كزيم، عالم أحلام مستغانمي الرّوائي، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011، ص 37.

2- ملخص الرواية:

"الأسود يليق بكِ" هي الرّواية الرّابعة لأحلام مستغانمي، بعد ثلاثيتها الشهيرة "ذاكرة الجسد"، "فوضى الحواس" و"عابر سرير" تتألف الرّواية من 331 صفحة من الحجم الوسط، صدرت عن دار توفل في بيروت، جمعها غلاف أنيق وراق، كما زهرات التوليب الّتي حضنا دافئًا للكلمات الثلاث الّتي باحت بالعنوان.

وقد قسمتها الرّوائية إلى أربع حركات، ولمزيد من الرّومانسية ضمنت كلّ حركة مجموعة من العبارات الرّومانسية بعضها من إبداعها الذّاتي، والبعض الأخر لفلاسفة وكتّاب كبار أمثال: نيتشة، فلاديمير مايا كوفسكي، وكلود لولوش وغيرهم.

تتناول الرّواية حكاية عادية بين شابة جزائرية اِسمها: "هالة الوافي" تبلغ من العمر سبعة وعشرين عامًا، هاجرت بها أمها السورية إلى الشام خوفا عليها بعد اِغتيال والدها المطرب الّذي كان يحب الغناء والعزف على العود، ومن ثمّ لم ينجح أخوها من عقاب الموت نفسه، رغم خدمته في معسكر الإرهابيين كمتطوّع طبي، وبين "طلال هاشم" الثري اللّبناني الّذي هاجر إلى البرازيل فقيرًا خلال الحرب الأهلية اللّبنانية، حيث كوَن ثروته، وتوسعت اِستثماراته في كلّ العالم، ويمكن تلخيص السير الخطي لأحداث الرّواية، ببيت شوقي "نظرة فاِبتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء فقطيعة" الحركة الأولى صدرتها الكاتبة بعبارة "الإعجاب هو التوأم الوسيم للحب: تبدأ الحكاية من اللّحظة الّتي يشاهد فيها "طلال هاشم" المغنية هالة الوافي في برنامج تلفزيوني بيروت بمناسبة صدور ألبومها الغنائي الأوّل إذ يعجب بها ويقرر الإيقاع بها في حبائل حبه، لكن بطريقة خاصة واِستثنائية، تفسر غرور الرجل الشرقي ونرجسية الأثرياء العرب الّذين يحبون التملك واِمتلاك كل شيء، حتى لو تعلّق الأمر بشراء العواطف والمشاعر عن طريق المال. أمّا الحركة الثانية فقد صدرتها الكاتبة بعبارة نيتشة الّتي تشي بذلك اللّقاء الشائك بين العاشقين "من أيّ نجوم أتينا لنلتقي أخيرًا".

حيث يضع الثري "طلال" الفتاة الشابة أمام مواقف مهينة ورهانات صعبة كانت تتعرف عليه وسط حشود المستقبلين في مطار باريس، ويمارس معها عديد المناورات الغرامية في محاولة لجعلها تستسلم أمام غروره. أمّا الحركة الثالثة فقد صدرتها بعبارة أخرى تقول «الحب هو عدم حصول المرء فورًا على ما يشتهيه». وفي الحركة الأخيرة الّتي تنتهي إلى القطيعة بين العاشقين، صدرتها بعبارة مارسيل بروست «لم أنلها مرة بكاملها، كانت تشبه الحياة».

أمّا لونيًّا فيمكن تقسيم الرّواية إلى ثلاث مراحل، الأولى مرحلة الأسود وتتلقى رسالة من خلال فحواها "الأسود يليق بكِ" لكن الرّواية تؤكد أنّ «من مكر الأسود قدرته على اِرتداء عكس ما يضمر»، وبعد ذلك جاءت مرحلة التوليد البنفسجي، ثمّ مرحلة اللاّزوردي عندما تقرر هالة التخلي عن الأسود بعد قرار القطيعة.

إنّ ما جاء في إهداء الرّواية «من أجل صديقتي الجميلة الّتي تعيش على الغبار الذهبي لسعادة عابرة، وترى في الألم كرامة تجمّل العذاب، نثرت كلّ هذه النوتات الموسيقية في كتاب ... علّني أعلمها الرّقص على الرّماد يؤكد أنّ رواية الأسود يليق بك هي مرافعة من أجل شرف المرأة الجزائرية وكبريائها بِاعتبارها سليلة الكاهنة واِبن الأوراس، حيث تولد النساء جبالا، تؤكد أحلام مستغانمي مرة أخرى أنّها المعادل الرّوائي للشاعر الظاهرة والمدرسة: نزار قباني ما يجعل روايتها نصًا مفتوحا على الأحلام الودية لقطاعات كثيرة من الشبان الحالمين بالإنخراط في الحياة الراقية في بيروت وباريس، وفيينا، إنّها رواية مثقلة بالإنشائية والشّعرية الناعمة، مؤنثة بكثير من العتبات النصية والشواهد والتصديرات الّتي تحسن أحلام اللّعب عليها، مثلا هي رواية منفتحة على كل القضايا والمشاغل تقريبًا، من الحرقة إلى الشطرنج إلى تربية الكلاب والأشجار، وكلّ هذا يجعل منها كاتبة منفتحة على كلّ الحساسيات والأذواق[1].

[1]– حسينة فلاح، الخطاب الواصف في ثلاثية: حلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، فوضى الحواس، عابر سرير، دار الأمل والطباعة والنشر والتوزيع، دط، 2012، ص 189.

من خلال ما تقدم يمكن القول بأنّ الرّواية الشهيرة "أحلام مستغانمي" كتبت من أجل أن تدافع عن المرأة، وأنّ تستعيد لها كرامتها وأن تسترجع لها حقوقها وتثبت وجودها وتحفظ أخلاقها، فلا تكاد تخلو مدونة من مدوناتها من الحديث عن هذه الأنثى الأصلية، وعن أهميتها في الوطن العربي عامة وفي الجزائر خاصة، لأنّها هي من أنجحت نصف المجتمع، وبفضل جدارتها وكفاحها إلى جانب الرجل اِستعادت للوطن اِستقراره وأمنه، وبإعدادها ساهمت في ظهور الكتابة النّسائية وفي تطوير الثقافة العربية[1].

[1]– حسينة فلاح، الخطاب الواصف في ثلاثية: حلام مستغانمي، ص 189.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المراجع المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

أولاً: المصادر.

1. أحلام مستغانمي، الأسود يليق بكِ، دار نوفل، بيروت، ط1، 2012.
2. أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت، ط26، 2010.
3. أحلام مستغانمي، عابر سرير، دار الآداب، بيروت، ط3، 2010.
4. أحلام مستغانمي، فوضى الحواس، منشورات ANEP، الجزائر دط، 2007.
5. أحلام مستغانمي، قلوبهم معنا وقنابلهم علينا، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2009.
6. أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2007.

ثانيا: المعاجم.

1. لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرّاوية، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، ط1، 2002.
2. اِبن منظور، لسان العرب، مادة (ر، و، ي)، المجلد السادس، دار صادر، بيروت، ط1، 2002.

ثالثا: المراجع.

1. إبراهيم خليل، بنية النصّ الرّوائي (دراسة) الدّار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2010.
2. إبراهيم محمود خليل، من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2003.

3. أحمد منور، الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، ط4، 2007.
4. عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث (1830- 1974)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
5. عبد الفتاح الدراويش، نزار قباني، في حياته وشعره، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 2009.
6. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007.
7. محمد حسن غانم، مدخل إلى سيكولوجية المرأة قضايا واِستشكالات نفسية إجتماعية- دينية- اِقتصادية، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2010.
8. محمد صبحي أبو حسين، صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ط2، 2005.
9. مفقودة صالح، المرأة في الزاوية الجزائرية، الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب، ط2، 2009.
10. منذر ذيب كفافي، صورة المرأة في شعر الصعاليك واللّصوص حتى نهاية العصر الأموي، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009.
11. غريد الشيخ، الأدب الهادف، في قصص وروايات غالب حمزة أبو الفرج، قناديل للتأليف والترجمة والنشر، ط1، 2004.
12. حسين المناصرة، مقاربات في السّرد، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2012.
13. سلامة موسى، المرأة ليست لعبة الرّجل، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، دط، دت.

14. حسين عيد مادي، يوسف إدريس الصراع والمواجهة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 1999.

رابعا: المراجع المترجمة.

1. روجرد. هينكل، قراءة الرّاوية، مدخل إلى تقنيات التفسير، ترجمة وتقديم وتعليق صلاح رزق، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2005.

خامسا: المجلات.

1. أحسن مزدور، التواصل في اللّغات، الثقافة والأدب، مجلة محكمة ومفهرسة تصدر عن جامعة باجي مختار، عنابة، العدد 27، جوان 2011.

2. كفاح المرأة الجزائرية، دراسات وبحوث الملتقى الوطني حول كفاح المرأة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية وثورة أوّل نوفمبر 1954، طبعة ثانية، مزيدة ومنقحة.

3. محاور مجلة النقد الأدبي والدّراسات الثقافية، النقد الثقافي، تصدرها الجمعية المصرية للنقد الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، العدد الأوّل جوان 2004.

فهرس الموضوعات

إهداء.

كلمة شكر.

مقدمة .....

مدخل .....

الفصل الأوّل

المرأة في المجتمع الجزائري

1- الرّواية الجزائرية .....

2- المرأة في الرّواية العربية .....

3- الأدب النّسوي .....

4- الرّواية النّسوية .....

5- أهمية موضوع المرأة في الرّواية .....

6- المرأة عبر العصور .....

أ- العصر الجاهلي .....

ب- عصر الإسلام .....

جـ- عصر الحديث .....

7- صفات المرأة العربية .....

8- المرأة في المجتمع العربي .....

9- المرأة الجزائرية .....

أ- الفترة الاستعمارية .....

ب- فترة حرب التحرير .....

جـ- فترة الإستقلال .....

10- قضايا المرأة .....
أ- المرأة المبدعة.....
ب- المرأة المتعلمة .....
جـ- المرأة غير المتعلمة.....

الفصل الثاني

صورة المرأة في رواية الأسود يليق بك

1- المرأة في ثلاثية أحلام مستغانمي.....
2- قضايا المرأة في رواية الأسود يليق بكِ .....
3- صورة المرأة في رواية الأسود يليف بكِ.....
1/ الصورة الجسمية .....
أ- الصورة الجسمية هالة الوافي .....
ب- الصورة الجسمية لنجلاء .....
جـ- الصورة الجسمية لهدى.....
2/ الصورة الإجتماعية.....
أ- الصورة الإجتماعية لهالة الوافي .....
ب- الصورة الإجتماعية لنجلاء .....
جـ- الصورة الإجتماعية لهدى .....
- خاتمة .....
- الملحق .....
- قائمة المصادر والمراجع.....
- فهرس الموضوعات .....